

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾

صدق الله العظيم

سورة ابراهيم

أية 27

The Political and Military Conditions in Syria and Egypt During The Age of Kutuz

The Ayubid state was born during the disputes against the Crusaders. That justified it's existence and it's insistence on it's struggle.

When the Ayubid struggle against the Crusaders weakened because of misunderstanding among their leaders , there arose a new power to replace them in their war . The new power represented in a Mameluk "slaves" who stood against the Crusaders and settled many problems . They became the strongest striking power of the army who where let by a sultan from themselves in 648H , 1250 A.D . This new Mameluk state faced many dangerous enemies represented by the Ayubids and European invaders on one side and a most dangerous and strong enemy represented by the Mongols who occupied Iraq and ruined the Abbasid Caliphate in Baghdad in 656 A.H. , 1258 A.D. and who went on their attacks westwards to Al-Sham and then threatening Egypt in 657 A.H. , 1259 A.D. .

The purpose of this thesis is to shed light on this important stage of the Islamic History and to focus on the role of King Kutuz in challenging his enemies .

This research divided into four chapters preceded by an introduction . The introduction deals with the most outstanding disputes inside the Ayubid family after the death of Salah-al-deen in 588 A.H. , 1193 A.D. . The author sees this very necessary to understand the political as well as the military conditions during that period .

The first chapter shows how the Ayubid state was abolished in 648 A.H. , 1250 A.D. and how the first Mameluk state was founded in addition to a short historical summary about bringing those Mamelukes "slaves" during the Tolon state and the following periods . The

Mamelukes formed a military group with special qualities that they where able to influence on contemporary events and stand against the advance of the Crusaders toward Egypt in 647 – 648 A.H. , 1249 – 1250 A.D. and appoint Shajarat-al-dur as a sultan but she could not stay as a sultan more than "80" days then she gave the rule to one of her soldiers " Prince Al-Muaz-Ibek in the same year .

Chapter two's tittle "Political and Military Changes in Egypt after the Killing of Al-Muaz-Ibek in 655 A.H. , 1257 A.D." shows the role of Prince Kutuz and narming Mansour Ali as a king and then his attempts to stop the Ayubids movements . It also tells us how Kutuz was able to seize crown and become the Sultan in 657 A.H. , 1259 A.D. .

Chapter three throws light on Mongols challenges and the Ayubids Mameluk's reaction towards them . It also indicates how king Kutuz was able to unite the human and economic energies to stop the Mongol's aggression .

Chapter four gives us a picture about the condition before the battle of Ein Jalout in 658 A.H. , 1260 A.D. and how some compassionate powers coalined with Mamelukes . The chapter shows us the results of the battle in addition to mentioning the most important achievements of King Kutuz in Sham in respective of being political , administrative or military . It tells about his sudden return to Egypt where was killed by Prince Baybers Al-Bandakadri through a conspiracy and how he became the Sultan of Egypt in 658 A.H. , 1260 A.D. .

إقرار المشرف

نشهد بأن هذه الرسالة جرت تحت إشرافنا في جامعة الموصل / كلية التربية / قسم التاريخ وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي .

التوقيع:
المشرف : **د. طارق فتحي سلطان**
المرتبة العلمية: أستاذ مساعد
التاريخ: / 1 / 2004

إقرار المقوم اللغوي

أشهد بأن هذه الاطروحة الموسومة " **الاوضاع السياسية والعسكرية في مصر وبلاد الشام في عصر قطز** " تمت مراجعتها من الناحية اللغوية وتصحيح ما ورد فيها من أخطاء لغوية وتعبيرية وبذلك أصبحت الرسالة مؤهلة للمناقشة بقدر تعلق الأمر بسلامة الأسلوب وصحة التعبير .

التوقيع:
الاسم : **امين لقمان محمد امين الحبار**
المرتبة العلمية : مدرس مساعد
التاريخ: / 2 /2004

اقرار رئيس لجنة الدراسات العليا

بناء على التوصيات المقدمة من قبل المشرف والمقوم اللغوي ، أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع :
الاسم : **د. خليل علي مراد**
المرتبة العلمية : استاذ
التاريخ : / 2 / 2004

اقرار رئيس قسم التاريخ

بناء على التوصيات التي قدمت من قبل رئيس لجنة الدراسات العليا ارشح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع :
الاسم : **د. هاشم يونس عبد الرحمن**
المرتبة العلمية : استاذ مساعد
التاريخ : / 2 / 2004

الفصل الاول

قيام دولة المماليك والتحديات التي واجهتها
(648-655هـ / 1250- 1257)

اولاً : قيام دولة المماليك في مصر ونهاية الدولة الايوبية .

648هـ / 1250 م .

ثانياً : الخلافات التي ادت الى مقتل الملك تورانشاه واعتلاء شجرة الدر سلطنة مصر .

ثالثاً : التحديات التي واجهت قيام دولة المماليك

اولاً : الاوضاع السياسية في بلاد الشام في اعقاب مقتل الملك تورانشاه عام 648هـ/1250م

ثانياً : حركة عرب صعيد مصر .

ثالثاً : مقتل الامير فارس الدين اقطاي .

قيام دولة المماليك في مصر ونهاية الدولة الايوبية 648هأ/1250م

اولاً : ظهور المماليك في مصر :

المملوك [1] لغة اسم مشتق من الفعل ملك وتعني في اللغة العبد وجمعها مماليك ، والمملوك اصلاً من امتلاك الشئ ، اما اصطلاحاً فانه اقتصر في معظم الدول العربية الاسلامية على الرقيق الابيض دون الاسود [2] ، وكان مصدرهم الشراء او الاسر او الهبات او الاهداء او الجزية التي يدفعها حكام الولايات او القادة العسكريون ، اذ يجلبون الى اسواق النخاسة وهم اطفال من شبه جزيرة القرم والقوقاز التي تشمل حوض الفولجا والاراضي الواقعة حول بحر قزوين ومن فارس وبلاد ماوراء النهر فكانوا خليطاً من اتراك وشراكسه وروس وروم واكراد وتركمان ومغول [3] وكانوا يباعون في اسواق النخاسة ، وينتسبون الى التجار احياناً ، اذ يحمل اسم المملوك اسم ذلك التاجر الذي جلبه او يحمل لقبه [4] ، او الى ساداتهم الذين يشترونهم او الى الذي دفع عن احدهم وقت شرائهم اذا كان المبلغ كبيراً [5] . وكان السلاطين

---

(1)ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، طبعة مصوره عن طبعة بولاق (د . ت) ، ج2 ، ص383-384 . الفيروزابادي ، محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، الموسسة المصرية للطباعة والنشر ، (بيروت – 1370 هـ) ج3 ، ص330 ، البستاني ، بطرس ، محيط المحيط ، مطابع موسسة جواد ، (بيروت – 1977 م) ح1 ، ص682 .

Islam and Islamic History in Arabia an Jtne Mid/ lest,htb: www.Islam.org/mosque/iham/sec//htm

(2)عطية الله ، احمد ، القاموس الاسلامي ، (القاهرة ، 1966 م) ، ح2 ، 557 .

(3)ابن عبد الظاهر، محي الدين ابو الفضل عبد الله رشيد الدين بن نشوان المصري ، تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، (القاهرة – 1961) ، مقدمة المحقق ، ص 37 ، ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، المسمى كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر من ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، (بيروت ، مؤسسة الاعظمي ، 1291) ، ج 5 ، ص 369 .

Lane – Pool , op. cit , 242 .

(4) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 2 ، ص 15 ، 17 ، ج6 ص166،69،65،3 ، العريني ، المماليك ، (بيروت ، دار النهضة العربية– 1967) ص 73-75 .

(5) ذكرت بعض المصادر اثمان بعض المماليك ، فمثلا لقب الامير منصور قلاوون بالالفي ، لانه دفع ثمنه الف دينار ، العريني ، المماليك ، ص 77 ، عاشور ،فايد حماد ، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الاولى (القاهرة ، دار المعارف ، 1974) ، ص13 ، عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، مصرفي عصر دولة المماليك البحرية ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، 1985 ، ص 13

يقتنون افضل المماليك ويعهدون بهم الى الطباق [1] ، الذي يشرف عليهم ويتولى رعايتهم وينزل كل منهم في طبقة جنسه ، ويرتبط هؤلاء المماليك الذين تربوا عند سيدهم بالخشداشية [2] وهناك يتم اعدادهم تربوياً وعسكرياً . [3] وبعدها يتم عتقه ويلتحق في خدمة سيده [4] .

وخلال الحقب الزمنية التي تتابعت [5] شكلوا طبقة عسكرية ذات امتيازات اثرت فيما بعد على مجريات الاحداث وتطورها واتخذت سياقات عديدة [6] حيث اهتم الفاطميون بتربية صغار

---

(1) الطباق مفردها طبقة ، وهي ثكنات المماليك السلطانية ، والمسؤول عنها يسمى طباق ، المقريزي ، احمد بن علي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، المعروف بالخطط المقريزية ، (بغداد ، عالم الكتب ، د .ت) ، ج 2 ، ص 346 ، 347 .

(2) الخشداشية : جمع خشداش أي الزميل في الخدمة ، المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص 388 حاشية 3 ، ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص 336 ، العريني ، المماليك ، ص 211 .

(3) A . Zahoor , Muslims in the India , Sub continet . httP:// www.Salam Muslim online .- Com – azahoor /Mulumindia 2. Htm .

(4) يبدا تعليم المماليك الصغار اولاً رسم الكتابة والشعائر الاسلامية منها حفظ القران الكريم والحديث والفقه والخط وآداب الشريعة والصلوات والاذكار ، ثم تدريبهم على فنون القتال والفروسية ، بعدها يتم تحريرهم من الرق ، ويكون ولاءهم الشخصي لسيدهم الذي اشتراهم ثم رباهم ، المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص313 ، اما الفرق السلطانية فتتالف المماليك فيها من اقسام عدة هم الخاصكية والمشتروات والسيفية والقرانيص ، فالخاصكية هم المماليك الذين يلازمون السلطان في خلواته ويقومون بحراسته وحمايته ، وهم اسرع المماليك بالترقية والمراتب ، بن شاهين ، غرس الدين خليل بن الظاهري ، كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك وصححه بولس راويس ، (باريس ، مطبعة الجمهورية 1891م) ، ص 115–116 ، العريني ، المماليك ، ص139 . اما القرانيص فهم مماليك السلاطين القدامى ثم السيفية وهم مماليك الامراء الذين توفوا وسجنوا اواسقطت منهم الامارة ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج4 ، ص15–16 ؛ صومط ، انطوان خليل ، الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري ، ط2 بيروت دار الحداثة (1982م) ، ص22–23 ؛ العريني ، المماليك ، ص134 فما بعدها
Mortiz sobernheim: the Mamloks , “ M.H.O.N.E.edit: (ostik-Zorak),(beirot-1934) p.1
وهناك اجناد الحلقة وينتمون لفئات وطبقات مختلفة من المماليك وغير المماليك وهم الاغلبية في الجيش المملوكي ، ابن شاهين ، زبدة كشف المماليك ، ص116 ؛ المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص95 ثم هناك اجناد الامراء وابناء الامراء الذين يتنضوون في خدمة الامير الذي يكون في خدمة السلطان وهناك اولاد الناس وهم مماليك ابناء الامراء الذين يخدمون في كنف الامير وغير ذلك ، العريني ، المماليك ، ص139 فما بعدها .

(5) تعد الدولة الطولونية (254–292هـ/868–905م) اول من استخدمت المماليك في مصر حتى بلغت تعدادهم الف مملوك انظر ابن اياس محمد بن احمد ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، (القاهرة ، مطابع الشعب ، 1311هـ) ، ج1 ، ص27 .

المماليك وهم اول من وضع لهم نظام تربيتهم في مصر [1] وكان جيش الدولة الايوبية 567-648هـ / 1171-1250م التي سبقت الدولة المملوكية يتالف في معظمه من المماليك [2] ، كما اعتمد صلاح الدين الايوبي على المماليك الاتراك بعد القضاء على الفاطميين الذين كانت مماليكهم من العبيد السود والارمن وغيرهم [3] وازداد الاعتماد عليهم ، ولعل خير ما يعبر عن ذلك قول العيني " .... ثم اعلم ان الديار المصرية والشامية انتهت بعد انقضاء الدولة العبيدية الفاطمية الى الدولة الايوبية .. ان صلاح هذه المملكة بتولية اولي النجدة والباس ، وان الترك من بينهم هم اصلح الاجناس ... فاشتراهم ملوك بني ايوب بابخس الاثمان ليزينوا بهم مواكبهم في البلدان وليتخذهم عدة عند النوائب .... واول من اهتم بتحصيلهم – جمعهم – واحتفل بتجميلهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب واخوه الملك العادل ابو بكر ثم ولده الكامل ، ولما الت المملكة الى ولده الصالح نجم الدين ايوب استكثر منهم استكثاراً [4] ثم سميت هذه الفرقة المملوكية على اسماء سلاطينها ، فقد اطلق اسم الصلاحية على مماليك السلطان صلاح الدين الايوبي والاسدية على مماليك اسد الدين شيركوه .

---

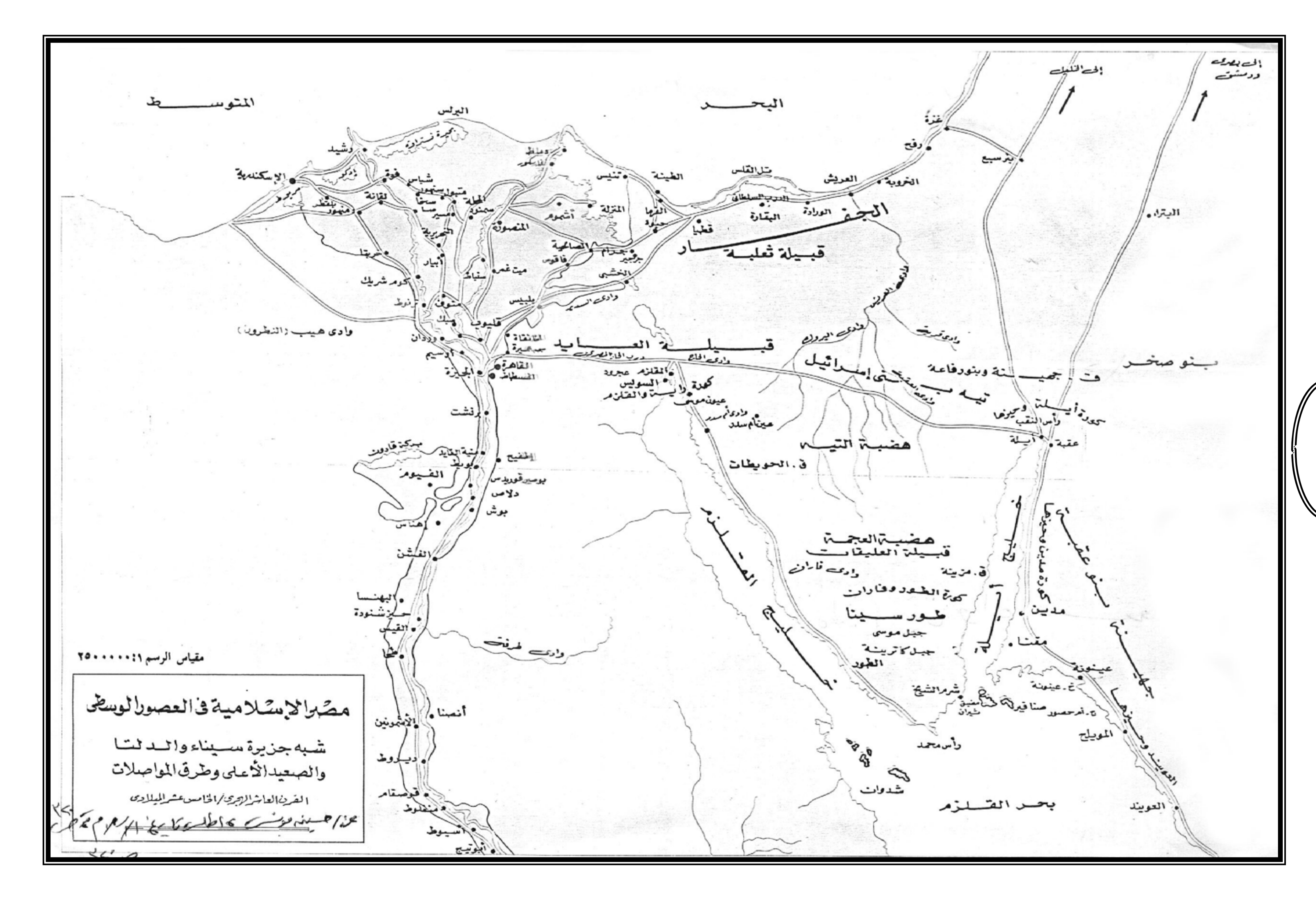
(6) كان معظم جيش الدولة الفاطمية (358-567هـ /968-1171م) من الاتراك ، العيني ، بدر الدين محمود ، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، تحقيق محمد امين (القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1417هـ) ، ص4 ،؛ العبادي ، احمد مختار ، قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام (بيروت ، دار لنهضة العربية ، 1969) ص70 .

(1) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق1 ، ص41 فما بعدها .

(2) ابو شامة ، الذيل على الروضتين ، ج1 ، ص94 ، بيبرس المنصوري ، ركن الدين الدودار ، زيدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، تحقيق دونالد . س . ريتشاردز ، (بيروت الشركة العربية المتحدة ، 1419 هـ) ، ص199

(3)المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص94 ، P. M. H O L T, The position and power of the MaMluk Sultan , " BSOAS , VOL . XXXV/// , 1975 , P. 237

(4) العيني ، عقد الجمان ، ص64-65 ، بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة ، ص2



مصر الإسلامية في العصور الوسطى
شبه جزيرة سيناء والدلتا
والصعيد الأعلى وطرق المواصلات
القرن العاشر الهجري/ الخامس عشر الميلادي
مقياس الرسم ١ : ٢٥٠٠٠٠٠
البحر المتوسط
بحر القلزم
قبيلة ثعلبة
قبيلة العايد
هضبة التيه
هضبة العجمة
قبيلة العليقات
طور سينا
جبل موسى
جبل كاترينة
الطور
تيه بني إسرائيل
بنو صخر
الإسكندرية
رشيد
القاهرة
الفسطاط
الجيزة
الفيوم
العريش
غزة
رفح
عقبة أيلة
مدين
إلى الخليل
إلى بعلبك ودمشق

دور المماليك في الصراعات التي قامت بعد وفاة صلاح الدين الايوبي :

ساهمت القوى المملوكية في الصراعات التي حصلت بين ابناء البيت الايوبي عقب وفاة صلاح الدين الايوبي وفاة السلطان صلاح الدين الايوبي بين ابناء البيت الايوبي [1] كما اشترك المماليك عقب وفاة الملك العادل 615هـ/ 1218م ، في الصراع حول السلطنة بين ولديه الملك الكامل واخيه الملك المعظم [2] ، وازداد تاثير المماليك على الدولة الايوبية من خلال اشتراكهم الفعلي في الصراعات الداخلية التي كانت تحصل داخل البيت الايوبي كونهم يملكون قوة الحسم العسكري واعتماد ملوك بني ايوب عليهم في صراعاتهم الداخلية كما حدث في الصراع بين الملك الصالح ايوب ضد اخيه الملك العادل الثاني ومساهمتهم في خلع الملك العادل وتنصيب الملك الصالح أيوب في السلطنة عام 638هـ /1240م [3] .

وعند تولي الملك الصالح [4] ايوب السلطنة ادرك مدى تاثير قوة المماليك الكاملة وباقي المماليك الاخرين الذين لم يكن لهم انتماء سياسي وعسكري الى أي ملك لكنهم سرعان ما يميلون الى الطرف الذي يقدم لهم امتيازات اوسع واقطاعات اكثر [5] .

---

(1)P. M. Holt : Mamluks , EI/2 , Vol. P. 323-324

(2)ساهمت الفرق المملوكية في الصراع الذي حدث بين الملك العزيز والملك المنصور اولاد السلطان صلاح الدين الايوبي ، كما استطاع الملك العادل شقيق السلطان صلاح الدين الايوبي من استمالة هولاء المماليك الى جانبه عندما سعى للحصول على السلطنة وتوحيد البيت الايوبي . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق1 ، ص128 ، ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ص120

Islam …. Islam . org .

(3)عند توجه الملك العادل الثاني نحو الكرك ، تمكن الامير عز الدين ايبك مقدم المماليك الكامليه من القبض على الملك العادل الثاني في مدينة بلبس وخلعه من السلطنة عام 637هـ/1240م .

المقريزي ، السلوك ج1 /ق1 / 223 ، 295-297 ، العبادي ، قيام دولة المماليك ، 92-93 .

Islam … “ Islam . org .

(4) ادرك الملك الصالح ايوب منذ كان وليا للعهد ، اهمية الدور الذي يقوم به المماليك في حسم المنازعات . لذا ازداد من شراءه لهم منذ عام 627هـ/1229م الا ان زوجة والده الملك الكامل اتخذتها ذريعة لابعادها عن ولاية العهد وتولية ابنها الملك العادل بحجة تآمره على والده فنفاه الى حصن كيفة ، للمزيد ينظر المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق1 ، ص 244 ؛ الخويطر عبد العزيز بن عبد الله ، الملك الظاهر بيبرس (الرياض : 1396هـ) ص7-8 .

(5) الخويطر ، الملك الظاهر بيبرس ، ص7 .

لذلك سعى الملك الصالح الى انشاء جيش قوي يؤازره في صراعه مع ابناء عمومته من البيت الايوبي ومع الصليبيين ، مع معاقبة المماليك الذين غدروا به [1] ، لذا اكثر الملك الصالح ايوب من شراء المماليك ، واخذ يعتمد عليهم ، حتى زاد ايذاؤهم للناس فشرع ببناء قلعة الروضة التي اسكنهم فيها واطلق عليهم اسم المماليك البحرية [2] .

قيام دولة المماليك في مصر 648هـ / 1250 م :

لم يكن قيام دولة المماليك في عام 648هـ / 1250 م ، حدثاً مفاجئاً ، كما يتعزز من سير الاحداث انذاك ، بقدر ماكانت الوقائع والاحداث تدل على وقوعها ، اذ كادت محاولة اغتيال الملك الصالح ايوب ان تقع لكن مرضه انقذه من محاولة القتل التي كاد ان ينفذها مماليكه البحرية [3] ، ومما يؤيد استنتاجنا هذا ان المماليك البحرية اصبحوا من القوة والنفوذ ان

(1) بعد خلع الملك العادل الثاني 637هـ/1239م ، اختلف المماليك الكاملية والمماليك الاشرفية على من يتولى السلطنة فمالت المماليك الاشرفية الى الملك اسماعيل بن العادل صاحب دمشق ، اما المماليك الكاملية فمالت الى الملك الصالح ايوب ، وكانوا القوة الاكثر نفوذا ، فاستدعوا الملك الصالح ايوب عام 638هـ/1240م ، ينظر ، المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص296 ، صومط ، الدولة المملوكية ، ص 8 .

(2) اختلف المؤرخون حول تسمية المماليك البحرية ، قسم ارجع تسميتهم الى بحر النيل ، شافع بن علي ، حسن المناقب السرية المنتزعة من السير الظاهرية ، تحقيق الخويطر ، (رياض 1976) ص 7 ؛ ابن خلدون العبر ، ج5 ، ص 273 ، زيادة ، مصطفى بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة المماليك في مصر ، مجلة كلية الاداب ، جامعة فؤاد الاول ، م4 ،ج1 ، ص 82-83 وقسم ارجعهم انهم جاءوا من وراء البحر ؛ غوانمة ، يوسف درويش ، التاريخ السياسي لشرقي الاردن في العصر المملوكي (عمان 1982) ص 51 ؛ العبادي ، قيام دولة المماليك ، ص98-99 .

(3) تعرضت مصر للحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع ووصلت الى مدينة دمياط يوم االخميس 19 من صفر 647هـ / 1249م وكان الملك الصالح ايوب قد اخذ الاحتياطات قبل وصول الحملة فقام بتحصين تالمدينة وشحنها بالرجال والمؤن وامر الامير فخر الدين بن يوسف مع عرب كنانة ان ينزلوا على ساحلها الغربي ليحولوا دون نزول تالحملة الصليبية الى الشاطئ لكن انسحاب الامير فخر الدين مع حامية المدينة سهل احتلال دمياط من الصليبيين مما اثار غضب الملك الصالح ايوب وامر بشنق عرب كنانة وتغير نحو الامير فخر الدين ووتانيبه بشدة مما اثار الامراء عليه ومحاولة اغتياله لكن الامير فخر الدين منعهم لمرض الملك الشديد ، المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص336ن، ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، ص245 ؛ سعيد ، ابراهيم حسن ، البحرية في عصر سلاطين المماليك ، (الاسكندرية ، دار المعارف ، 1983) ، ص85 ؛ براور ، عالم الصليبيين ، ص69 ، وحول محاولة اغتيال الملك الصالح ينظر ، ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، ص245 .

يتجرءوا على استاذهم وصاحب الفضل عليهم ، بل انهم حسموا كثيراً من القضايا الخطرة التي هددت كيان الدولة الايوبية وانهوا كثيراً من الصراعات الداخلية بين ملوكها كما اوردنا سابقاً مما دفع الملك الصالح ايوب الى ابعاد ابنه الملك تورانشاه عن السلطنة ، كي لا يقع تحت تاثير المماليك البحرية والدليل على ذلك قوله مخاطبا (.. اجيبه الى ها هنا اقتله)[1] وفي 15 شعبان 647هـ/ 1249 توفي الملك الصالح ايوب ، ويومها كانت مصر تتعرض للحملة الصليبية السابعة التي يقودها الملك لويس [2] التاسع (ملك فرنسا) الذي احتل مدينة دمياط واخذت قواته تهيا للزحف باتجاه القاهرة ، اذ قامت شجرة [3] الدر (زوجة الملك الصالح ايوب) بمهام الدولة مع الامير فخر الدين [4] بن شيخ الشيوخ واخفاء خير موت الملك الصالح ايوب ، الا انه سرعان ما انتشر خبر وفاته مما شجع المماليك لاستغلال ذلك الحدث لتنصيب الامير فخر الدين للسلطنة في مصر. هناك رئيان اوردتهما المصادر المختلفة التي تحدثت عن ذلك الظرف ، اولهما ذكره سبط ابن الجوزي (ت 654هـ) ومفاده ان فخر الدين كان زاهداً عن المنصب غير راغب فيه ، وان طموحه كان طوحاً دينياً وانه كان يتمنى الشهادة في اخر ايامه ، [5] وانه لم يكن راغباً في السلطنة ، وانه لوارادها لما اختلف عليه اثنان كما يشير الى ذلك سبط ابن الجوزي (.. ندب ابن الشيخ للملك وامتنع ، ولو اجاب ما خالفوه) [6]

---

(1) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ق2 ، ص 783 ؛ المقريزي السلوك ، ج1 ، ق2 ، 342 .
Lane-Pool,op. cit., P.243 ; Islam… “ Islam. Org.

(2) الملك لويس التاسع (624هـ – 669هـ/1226م – 1270م) ، تولى حكم فرنسا وعمره الثانية عشرة ، وعرف باسم القديس لويس ، قاد الحملة الصليبية على مصر عام (647هـ/1249م) ، عمران ، المغول ، ص 106–107 .

(3) شجرة الدر ، جارية تركية الاصل وقيل انها ارمنية ، اشتراها الملك الصالح ايوب ثم اعتقها وتزوجها وكانت ملازمة له ترافقه في سفره ، المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 361 ، دائرة المعارف ، مادة شجرة الدر ، م13 ، ص 175–176 .

(4) الامير فخر الدين بن شيخ الشيوخ ، وهو الفضل يوسف بن الشيخ صدر الدين محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه الجويني ، ولد بدمشق وسجنه الملك الصالح ايوب عام 640هـ/1242م ، ثم اطلق سراحه بعد ثلاث سنوات ، وكان يعهد له بالامارة لقيادة الجيش ، بيبرس المنصوري ، مختار الاخبار ، ص 8 ، ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي بن احمد بن محمد ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، (القاهرة ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، 1350هـ) ج5 ، ص 238–239 .

(5) ان هذا الحديث ورد في دمشق بحضور سبط ابن الجوزي ونصه : بان فخر الدين كان يتمنى الشهادة ، لكن السلطنة كما يبدو عند توليه زمام الامور عقب وفاة الملك الصالح أيوب ، اغرته . وبدأ يتعايش معها من سير الاحداث سبط ابن الجوزي ، مراة الزمان ، ج8 ، ق2 ، 776 ، الكتبي ، محمد شاكر ، عيون

اما الراي الاخر والذي يمثله ابن واصل ، (ت 697هـ / 1297 م) ، الذي كان معاصراً للحدث ، فانه يذهب الى ان فخر الدين كان راغباً في المنصب ويسعى الى الملك بدليل قوله ((كان قد انتهى الى قريب رتبة الملك الصالح نجم الدين ايوب ، وكانت همته تترقى الى الملك ....)) [(1)]

ويبدو راي ابن واصل هو الارجح لان الامير فخر الدين انسحب من دمياط مخالفاً لاوامر الملك الصالح ايوب معتقداً انه قد مات وان كرسي السلطنة اصبح خالياً وانه احق بها . [(2)]ومن خلال الاحداث وما عكسته تصرفات فخر الدين انه (اخذ في الاستبداد والاستقلال بالمملكة .. وصار يركب في موكب عظيم وجمع الامراء في خدمته ، ويترجلون له عند النزول ، ويحضرون سماطه [(3)] ، كما عمل على اطلاق المسجونين ووزع الاموال والخلع على الامراء ، كما كسب الامراء وعامة الناس ، حتى قالوا (لو اجاب ما خالفوه ، ولا اختلف عليه اثنان ..) [(4)] ، لذا اسرعت شجرة الدر الى ارسال الامير فارس الدين اقطاي الجمدار [(5)] قائد الفرقة البحرية الصالحية الى حصن كيفا [(6)] لاستقدام الملك تورانشاه الى مصر مخالفة لوصية زوجها الملك الصالح ايوب بعدم تولية ابنه عقب وفاته وتسليم مصر الى الخليفة العباسي [(7)] ، وقد يبدو ان شجرة الدر كانت ترمي من ذلك الحد من نفوذ فخر الدين وطموحه الذي بدا يهدد

التواريخ ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود ، (بغداد ، دار الرشيد ، 1980م) ، ج20 ، ص 32 .

(6) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ق2 ، ص 776 ، الكتبي ، عيون التواريخ ، ج20 ، ص 32.

(1) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 345 ، هامش رقم (5) ، عن ابن واصل .

(2) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 335-336، 342 ، العبادي ، قيام دولة المماليك ، ص 103 ، ابراهيم حسن سعيد ، البحرية ، ص 85 .

(3) ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص 159 ؛ ابن ايبك الداوداري ، كنز الدرر ، ج7 ، ص 375 ، المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص344 .

(4) الكتبي ، عيون التواريخ ، ج20 ، ص 32 .

(5) الجمدار مصطلح مملوكي ، يقصد به الذي يقوم لالباس السلطان او الامير ثيابه ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج5 ، ص 431 ، وسنتكلم عن الامير اقطاي بالتفصيل في ص 44 .

(6) حصن كيفا ، بلدة وفيها قلعة عظيمة مشرفة على نهر دجلة ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص 265 .

(7) ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر في اخبار البشر ، ج3 ، ص 180 ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج2 ، ص 264 .

طموحاتها للوصول للسلطنة فارادت ان تضرب احدهما بالاخر ، ومن ثم ازاحت من ينبغي للوصول الى ما تبغي اليه .

على الرغم مما تحاول المصادر ان تتهم الملك تورانشاه بان فيه خفه [1] ، وكان دائماً غير مطيع لاوامر والده ، لذا كان يكرهه [2] . كما ان الملك الصالح ايوب كان دائماً يردد بان ابنه لا يصلح للملك [3] ، لكن شجرة الدر على الرغن من هذا طلبت قدوم الملك تورانشاه باسرع ما يمكن ، فانه ما ان علم بوفاة والده حتى عاد مسرعاً ، فدخل دمشق وبدا يوزع الاموال لعساكرها من اجل استمالتهم لجانبه بعد ما وصلته اخبار من (بعض المماليك الواصلين اليه ان فخر الدين قد حلف العسكر لنفسه ومتى ما وصلت قتلك [4]) . من اجل الوصل للسلطنة ، حيث اخذ يتوعده بالقتل [5] لكن استشهاد الامير فخر الدين [6] قبل وصول الملك تورانشاه الى مصر ، اجل الاصطدام مع المماليك لحين الانتهاء من الصليبيين في دمياط .

وقد استغل الملك لويس التاسع وفاة الملك الصالح ايوب للقيام بهجوم مباغت على عساكر المصريين في (4ذي العقدة 647هـ/ 1249م) ، فوصلت قواته الى المنصورة التي تحولت الى مقبرة للصليبيين [7] . وفي (23 ذي العقدة / 647 هـ / 1249 م) وصل الملك تورانشاه الى مصر ، فتيمن الناس بوصوله [8] بعد ان حقق انتصاراً كبيراً على الصليبيين عند

---

(1) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ق2 ، ص 781 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 342 .

(2) العيني ، عقد الجمان ، ص 23 .

(3) كان الملك الصالح ايوب يرد ذلك لاعتقاده كما يبدو بقوة مماليكه البحرية ، وخوفه منهم عليه لذا ابعده الى حصن كيفا ، العيني ، عقد الجمان ، 232 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج4 ، ص 83 .

(4) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ق2 ، ص776 .

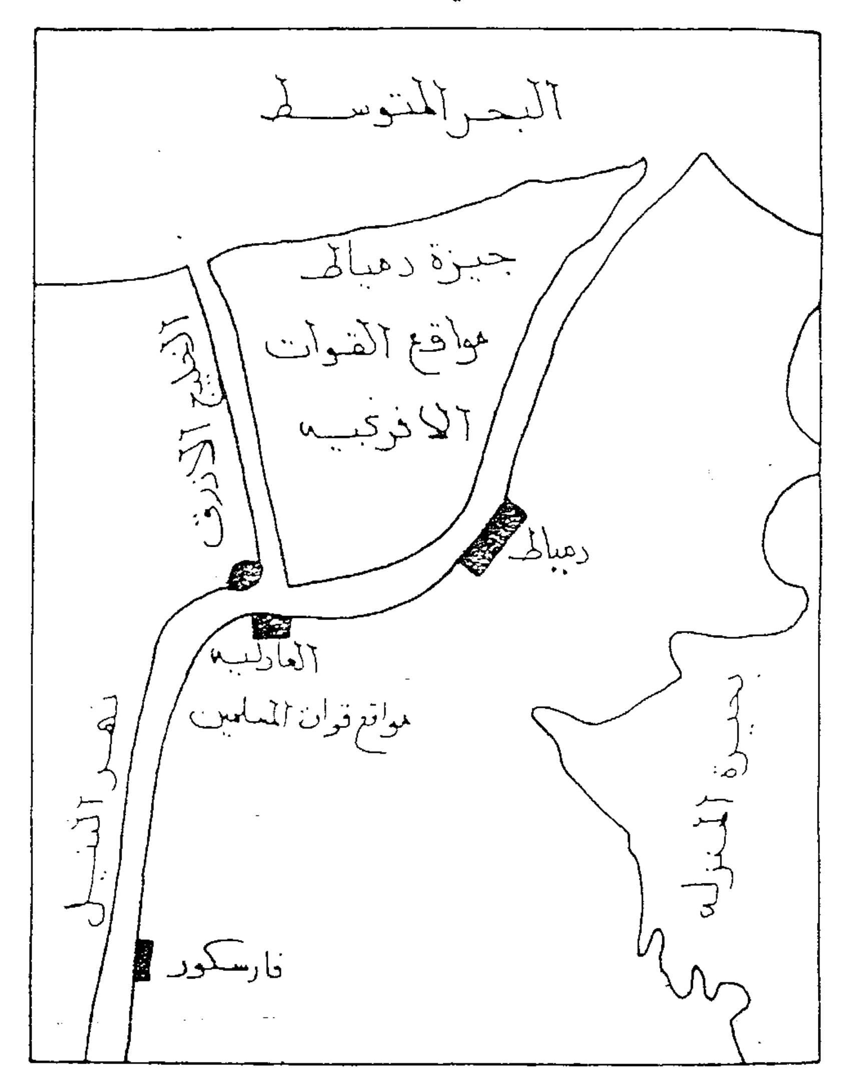
(5) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ق2 ، ص776 .

(6) بيبرس المنصوري ، مختار الاخبار ، ص8 ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج5 ، ص239 .

(7) حول معركة المنصورة ، انظر ، ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص 159–160 ، رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص465–466 ؛ عاشور ، الحركة الصليبية ط2 ، (القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1971) ج2 ، ص1066–1075 ؛ سعيد ، ابراهيم حسن ، البحرية ، ص 87 .

(8) الكتبي ، عيون التوارخ ، ج20 ، ص 43 .

مدينة فارسكورا يوم الابعاء (3 محرم / 648هـ / 1250 م) . واسر بها الملك لويس التاسع [1] ، لينهي الخطر الذي كان يتهدد مصر ، كما افرزت المعركة زيادة فعالية تاثير المماليك البحرية وعظم نفوذهم ، وذلك لما ابدوه من شجاعة في التصدي للصليبيين ، واحراز النصر عليهم .



(1) ابو شامة ، الذيل على الروضتين ، 184 ؛ ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص 160
P.M. Holt, Mamlok, E12. Vol P.323

ثانياً : الخلافات التي ادت الى مقتل الملك تورانشاه واعتلاء شجرة الدر سلطنة مصر:

سرعان ما تحول الاحتفال بالنصر الى جفاء بين الملك تورانشاه والمماليك البحرية ، وساد بينهم عدم الثقة والارتياب ، وبدأ احدهما يتربص بالاخر لينقض عليه ويتخلص منه ، مما فسح المجال لامراء البحرية بالانفراد بالملك وقتله في (27 محرم 648هـ/1250م)[1] بعد حكم لم يتجاوز واحدا وسبعين يوما ، ولم يتجاوز الملك تورانشاه من العمر ثلاثين عاماً [2] وقد تضافرت جملة من العوامل كان لها الدور الفعال في قتل الملك تورانشاه نجملها على الوجه الاتي :

اولاً : حاول الملك تورانشاه التخلص من مماليك والده وذلك عن طريق ارسالهم الى ملوك البلاد المجاورة بحجة تبشيرهم بنصره على الصليبيين لكن المماليك شعروا ما يريده بهم ، لذا انقضوا عليه [3]

ثانياً : بدا بتقريب مماليكه الذين جاؤوا معه من حصن كيفا ، ومنحهم الرتب العالية والاقطاعات ، واهمل مماليك والده الذين يعود الفضل لهم في هزيمة الصليبيين وتخليص البلاد منهم ، وكانوا ياملون من الملك تورانشاه رد الجميل في اعطائهم الاقطاعات والهدايا .

ثالثاً : عمل على الحط من مكانة امراء مماليك ابيه ، واهانتهم وتسميتهم باسمائهم المجردة دون القابهم [4] .

رابعاً : كان يهدد زوجة ابيه شجرة الدر ويطالبها باموال ابيه وجواهره التي تركها فخافت منه وتامرت مع المماليك البحرية على قتله [5]

---

(1) كانت فترة حكمه منذ وصوله لمصر ومقتله اكثر من شهرين بقليل ، حول مقتله انظر ، ابو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص185 ، العيني ، عقد الجمان ، ص26 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 360 ؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة (القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، 1387هـ) ج2 ، ص 36 .

(2) ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج7 ، ص 383 .

(3) اراد ارسال الامير فارس الدين اقطاي الى الموصل ، ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، ص 248-249 .

(4) العيني ، عقد الجمان ، ص 24 .

(5) العيني ، عقد الجمان ، ص 24 .

خامساً : بدا يحتجب عن الناس اكثر مما كان يفعل ابيه ، فبدا يبتعد عنه الناس وتركوه وحده ليلاقي مصيره المحتوم [1] .

وتسعى المصادر كل من جانبها الى تبرير قتل الملك تورانشاه لخفة فيه [2] او كونه غير مطيع لوالده ، وانه لايصلح للملك [3] ، ولكون هذه المصادر كتبت الحدث لاحقاً ولها مصلحة في ذلك لان معظم مورخيها عاشوا في كنف المماليك وخوفا من سطوتهم ، دون التطرق الى السبب الرئيسي ، لكن من سرد الاحداث التاريخية يبدو ان اغتياله جاء ضمن خطة اعد لها باحكام مماليك والده الملك الصالح ايوب للتخلص منه قبل دخوله الى القاهرة التي بدات تستعد للاحتفال بالنصر العظيم الذي حققوه على الصليبيين في معركة فارسكوره ، بعد ما بدا الناس التيمن بوصوله واعتلائه العرش[4] ، والالتفاف حوله مما اثار مخاوف امراء المماليك ، وغير نظرتهم تجاه ملكهم الجديد الذي كانوا ياملون منه الاقطاعات والمناصب ، وتوسيع نفوذهم وسيطرتهم على البلاد لخفته وضعفه ، لكن الوقائع اثبتت عكس ذلك ، وما كان ابعاده من والده الاخوفاً عليه من المؤامرات والدسائس التي كانت تدبر من اقربائه من البيت الايوبي والمماليك ، تلك المؤامرات والدسائس ، التي مربها والده قبله وبعد استلامه للحكم [5] وليست لخفة فيه كما تحاول بعض المصادر لصقها به لان ما اورده الكتبي [6] من رجحان عقله وادبه وعلومه ينفي ذلك بقوله (كان الملك المعظم قوي المشاركة في العلوم حسن البحث ذكيا ، لكن خطه كان قليلاً وادركته حرفة الادب كما ادركت عبد الله بن المعتز) ، اما المقريزي [7] فيذكر انه جرت بين يديه مباحثات ومناظرات في انواع العلوم ، كما ان تورانشاه قد (مهر في العلوم ، وعرف الخلاف والفقه والاصول ، وكان جده الملك الكامل يحبه لميله الى العلم ، ويلقي عليه من صغره المسائل المشكلة ، ويامره بعرضها وامتحان الفقهاء

---

(1) المصدر نفسه ، ص 24 .

(2) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ص 781 .

(3) العيني ، عقد الجمان ، ص 23 .

(4) الكتبي ، عيون التوارخ ، ج2 ، ص 42 .

(5) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص 366–367 .

(6) الكتبي ، عيون التوارخ ، ج20 ، ص 45 ؛ ابن ايبك الدوادار ، كنز الدرر ، ج7 ، ص 374 .

(7) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 353 ؛ كما اشار ابن الحنبلي ان تورانشاه كان " قوي المشاركة في العلوم ، حسن المباحث ذكيا " ، شفاء القلوب ، ص 427–428 .

بها في مجلسه) . فضلاً عن قيادته للجيش المصري عندما غير من جانبه خطط المواجهة مع الصليبيين ، عندما وضع خطة تتلخص بحرمان الصليبيين من الامدادات والتموين التي تصلهم من دمياط ، وذلك بقطع مواصلاتهم في نهر النيل ، وتحقيقاً لهذا امر بانشاء اسطول من السفن الخفيفة ، ثم نقلها مفككة على ظهور الابل الى فروع النيل السفلى خلف خطوط الصليبيين مهمتها اعتراض سفن الصليبيين ، اذ تمكنت من اسر عدد كبير من السفن المحملة المؤن والاقوات ، وسارعت بانتصار المصريين عند مدينة فارسكوره واسر الملك لويس التاسع [1] .

ادت هذه الانتصارات الى تنامي قوة المماليك البحرية وماكانوا يعدوه من خطط ومؤمرات قبيل وفاة الملك الصالح ايوب ومحاولات قتله [2] لكن مرضه اسعفه واجل الاصطدام ، لحين اعتلاء الملك تورانشاه للسلطنة الذي اثبت كفاءته العسكرية والادارية ، مما اثار رعب المماليك البحرية ، واعدوا خطة للتخلص منه قبل دخوله القاهرة ، والتفاف الناس حوله ، وهكذا اتفقوا على ضرورة التخلص منه كما اوردها العيني بقوله[3] (اجتمعت البحرية على قتله بعد نزوله بفارسكور ، وهجموا عليه بالسيوف ..) ليقتلوه كما كان يردد ذلك والده (اجبيه الى هاهنا اقتله) [4] دون أي رد فعل من اتباعه ومماليكه الذين قدموا معه من حصن كيفا ، وهذا ما سيحدث للملك المظفر قطز بعد انتصاره في معركة عين جالوت ، وأثناء عودته الى القاهرة ، التي استعدت لاستقباله ، ليسقط قتيلاً بايدي القتله انفسهم دون أي رد فعل من عساكره ومماليكه .

وعند قتل الملك تورانشاه عام 648هـ/ 1250م) ، انتهى الحكم الايوبي في مصر وبدات دولة المماليك البحرية ، بعد اجتماع امراء البحرية الصالحية ، وبرز دور شجرة الدر من خلال تصديها للحملة الصليبية السابعة ومستثمرة خلو بيت الملك الصالح ايوب من أي وريث ، وكونها ارملته واقرب الناس له ، والمتعاونة معه ، اذ جلست[5] على عرش السلطنة في

---

(1) بان ايبك الدوادار ، كنز الدرر ، ج7 ، ص 377-378 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق1 ، ص 353-354 ؛ سعيد ، ابراهيم حسن ، البحرية ، ص 89-90 .

(2) ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، ص245 ، المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 336 .

(3) العيني ، عقد الجمان ، ص 26 .

(4) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ق2 ، ص 783 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 342 .

(5) لم يكن تولي السلطنة من قبل شجرة الدر نتيجة موافقة الشعب او رجال الدين او الخلافة العباسية ، لكنها كانت وليدة الظروف التي تزامنت انذاك ، وتأييد اصحاب القوة والنفوذ من امراء المماليك البحرية الذين لا

(10 مـن صـفر / 648هـ / 1250 م) ، واختـاروا عـز الـدين ايبـك الجاشـنكير الصـالحي المعروف بالتركماني [1] اتابكا للجيش [2] . واستهلت سلطنتها عام 648هـ/ 1250م في حسم الموقف مع الصليبيين الذين مازالوا يحتلون دمياط [3] ، وحاولت ان تضفي على حكمها صفة الشرعية بكسب تأييد عامة الناس ، وأمراء المماليك البحرية واعيان الدولة الذين منحتهم الاموال ووزعت عليهم الاقطاعات وخلعت عليهم الرتب العالية [4] فضلاً عن اصدار المراسيم والمناشير باسمها وتوقيعاتها عليها باسم (والدة خليل) ، كما خطب لها على منابر مصر ، وضربت السكة باسمها ، وكان رسمها (المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة المنصور خليل) [5] .

يزال البعض منهم وفيا لاستاذهم الملك الصالح ايوب ؛ للاستزادة العيني ، عقد الجمان ، ص 29 ؛ العبادي ، قيام دولة المماليك ، ص 120 .

(1) كان عز الدين ايبك مملوكا تركيا لا حد ابناء التركمان الذي كان يدعي انه من نسل بني رسول حكام اليمن ، ثم انتقل الى جيش الملك الصالح ايوب ، ووصل الى رتبة جاشنكير (الذي يتذوق طعام السلطان) ، ولم يكن المعز ايبك اقوى المماليك البحرية ، لكنه تجنب الفتنة اول الامر ، ولم يشترك بما كان يحاك من دسائس بينهم ، لذا اختاروه لذلك ، كما كانت هناك منافسة قوية بين الامير اقطاي والامير بيبرس وغيره من الامراء ، المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 368 .

(2) الاتابك ، لفظة تركية معناها ابو الامراء أي اكبر الامراء ، وتطلق على اكبر الامراء المقدمين بعد نائب السلطنة ، ويعبر عنها باتابك العساكر واول من لقب بها نظام الملك وزيره ملك شاه بن الب ارسلان سنة (456هـ/1063م) ، وفي العصر المملوكي اعتبرت رتبة عسكرية عالية تميل الى القائد العام للجيش المصري ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج4 ، ص 18 .

(3) انتدبت الامير حسام الدين بن علي لمفاوضة الملك لويس التاسع الاسير لديهم ، وانتهت المفاوضات الى تسليم دمياط وإخلاء سبيل الملك لويس ، لقاء فدية ثمانمائة الف دينار ، كما تم الصلح لمدة عشر سنوات ، ينظر ، العيني ، عقد الجمان ، ص 29 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 362-363 .

(4) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص316 ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور الزهور ، ج1 ، ص 73 .

(5) ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج3 ، ص 182 ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج2 ، ص6 ؛ العبادي ، قيام دولة المماليك ، ص 118-119 .

تولية الملك المعز ابيك سلطنة مصر :

وعلى الرغم من كل مابذلته شجرة الدر من اموال وعطاءات فإن اهل مصر لم يحبذوا ان تتولاهم امراة ، فعصفت بالبلاد الفتنة ، وسادت الفوضى في مدينة القاهرة ، [1] وغلقت ابواب المدينة خوفاً من انتشارها الى باقي البلاد ، فقد وثق ابن ايبك الدواداري [2] ذلك بقوله " ان الامراء لما نظروا لما جرى من التشويش ، وما الناس فيه من النهب وقلة الحرمة .. علموا ان المراة لا تقوم بسياسة الملك " ، كما اصدر الفقيه عن الدين بن عبد السلام فتوى تمنع تولي امراة السلطنة [3] كما جاء انتقاد الخليفة العباسي المستعصم بالله ، الذي رفض الاعتراف بسلطنتها ، وارسل اليهم يقول " ان كانت الرجال قد عدمت عنكم فاعلومونا حتى نسير اليكم رجلاً) [4]

وزاد من هذا الرفض التحرك الايوبي في بلاد الشام والكرك تجاه مصر ، ومع تنامي الاضطرابات في مصر [5] ، اجتمعت امراء المماليك البحرية وقالوا (لا يمكننا حفظ البلاد ، وامر الملك الى امراة .. لابد من اقامة شخص كبير تجتمع الكلمة عليه ويشار الملك اليه ، فاتفق رايهم على ان يفوضوا امر الملك الى عز الدين ايبك التركماني) [6] الذي تولى السلطنة يوم السبت التاسع عشر من ربيع الاول عام (648 هـ / 1250 م) باسم الملك [7] المعزايبك ، اثر تنازل شجرة الدر بعد حكم دام سبع

---

(1) العيني ، عقد الجمان ، ص 34 .

(2) كنز الدرر ، ج8 ، ص 13 ؛ عاشور ، فايد حماد ، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ، ص 20.
P.M. Holt: Mamluk, E12, Vol 6. 6. P 238

(3) العز بن عبد السلام من اشهر قضاة مصر ، ومن رجال فقهها ومعرفتها ، نشأ في الشام وهاجر الى مصر وتولى القضاء فيها ، واصدر فتوى حول ما قد يبتلي المسلمون عند ولاية امراة عليهم ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج2 ، ص 34 ؛ العبادي ، قيام دولة المماليك ، ص 122 ، حاشية 3 .

(4) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 368–369 .

(5) العيني ، عقد الجمان ، ص 34 .

(6) جاء تفويض السلطنة الى الملك المعزايبك ، لتنافس الامراء كما ذكرنا ، وكون اوسطهم ومتى ارادوا ازاحته لم يقف احد بوجههم كما اورد ذلك اليونيني " متى اردنا صرفه امكننا لعدم شوكته " ذيل مرآة الزمان ، ج1 ، ص 55 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 368–369 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص 3 ؛ العيني ، عقد الجمان ، ص 34 .

(7) هو المعز عز الدين أيبك بن عبد الله الصالحي النجمي المعروف بالتركماني ، حيث اشتراه الملك الصالح نجم الدين ايوب في حياة والده الملك الكامل محمد ، (وكان جاشنكيره الذي يتصدى لذوق الماكول

وثمانون يوماً ، ومن ثم زواجها من الملك المعزايبك في التاسع والعشرون من ربيع الاخر عام 649هـ / 1251م) [1] .

لم يكن انتخاب المماليك للملك المعزايبك كونه اعلى امراء البحرية مرتبة ولا اقدرهم في ادارة شؤون البلاد ولااقواهم شكيمة بل كان اوسطهم مرتبة ، ويبدو ان اختياره جاء نتيجة للصراع الخفي [2] بين امراء المماليك البحرية الاقوياء للوصول للسلطنة كما أوثقه ابن تغرى بردي [3] (وتشوق الى السلطنة عدة امراء فخيف من شرهم ، ومال الناس الى ايبك المذكور وهو من اوسط الامراء ولم يكن من اعيانهم) ، حتى اذا مابدالهم ان مصلحتهم تقتضي خلعه عن السلطنة امكنهم ذلك [4] بقولهم (متى اردنا صرفه امكننا ذلك لعدم شوكته) [5] .

كما ان تملكه للسلطنة لم يكن إلا شكليا ، وان اختياره جاء كحل موقت نتيجة موقف سياسي حرج انذاك [6] . لكن هذا التغير الذي حصل على الساحة المصرية لم يلق التاييد من ابناء مصر اذ بدأوا يسمعون الملك المعز مايكره ، مثل قولهم لانريد سلطانا مسه الرق بل سلطان مولود على الفطرة ، وعلى الرغم من قيامه بتوزيع الاموال لكسب عامة الناس [7] في ذات الوقت ظهرت المعارضة الايوبية في بلاد الشام التي قادها الملك الناصر يوسف الثاني للتصدي للسلطنة النسائية التي تولتها شجرة الدر أول الامر ، وعند تنازلها عن السلطنة ، طلب

والمشروب قبل السلطان او الامير ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج5 ، ص 460) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص 4 .

(1) العيني ، عقد الجمان ، ص 53 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 368-369 .

(2) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص4 ؛ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج1 ، ، ص55 .

(3) نجوم الزاهرة ، ج7 ، ص4 ، المزوري ، زاهدة محمد طه محي الدين ، الصراع على السلطة في العصر المملوكي الاول في مصر وبلاد الشام 648-784هـ/1250-1382م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الاداب 1422هـ/2001م .

(4) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص 4 .

(5) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج1 ، ص 55 .

(6) بيتر توارو ، الظاهر بيبرس ، ترجمة محمد جديد ، ص 57 ، قدمس للنشر والتوزيع ، دمشق ، ط2، 2002م .

(7) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ق2 ، ص783 .

الايوبيون ، باعادة سلطنة مصر لاصحاب الحق الشرعي من البيت الايوبي ، [1] كما تحركت القبائل العربية في الصعيد . ان تداخل هذه الاحداث دفع بالمماليك البحرية وقائدهم الامير اقطاي وبيبرس البندقداري وغيرهم من المماليك البحرية الى ان ان يتفقوا على [2] .

اقامة شخص من بني ايوب يجتمع الكل على طاعته هو الملك مظفر الدين موسى بن الملك المسعود بن الملك الكامل ، ولقبوه بالملك الاشرف . ويكون المعزايبك اتابكاله [3] .

ان اختيار صبياً من بني ايوب لم يتجاوز العاشرة [4] من عمره ماهو الا خطة من المماليك البحرية تستهدف تقليص سلطة ونفوذ الملك المعز من جهة ، اما الامر والتدبير فيكون بيدهم كما يشير لذلك (واختاروا صبياً عليهم من بني ايوب يكون له اسم السلطنة وهم يديرونه كيفما شاءوا وياكلون الدنيا به ، والمعز سامع مطيع) [5] ، وتذكر بعض المصادر [6] ان الملك المعزايبك كان شريكاً في الملك مع الملك الايوبي الاشرف ، لكن الارجح ماذهب اليه كل من ابي الفداء والعيني وابن تغرى بردي ومن نحا منحاهم ، بان الملك الاشرف الايوبي كان ملكاً ، اما الملك المعزايبك فكان اتابكاله والقائم بتدبير الدولة والتقدم على العساكر ، كما شاركه في الخطبة والسكة [7] ، كما اعلن الملك المعزايبك ان البلاد تحت سلطة الخلافة العباسية وانه نائب

---

(1) توارو ، الظاهر بيبرس ، ص 57 .

(2) كانت القوة المحركة للمماليك البحرية تتمثل بالامير فارس الدين اقطاي ، والامير بيبرس البندقداري ، والامير سيف الدين بلبان الرشيدي والامير شمس الدين سنقر الرومي .

(3) العيني ، عقد الجمان ، ص 35 .

(4) اختلفت المصادر حول عمر الملك الاشرف ، يذكر المقريزي ان عمره كان ست سنوات انظر ، السلوك ، ج1 ، ق1 ، ص369 ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج1 ، ص 74 في حين يذكر ابن ايبك الدوداري ان عمره عشرة سنوات نقلا عن ابن واصل ، كنز الدرر ، ج8 ، ص13 ، ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر ، ج3 ، ص183 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص 6 .

Islam… "Islam. Org
P.M.Holl: Mamluks, E12. Vol.6.P.238.

(5) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص 5 .

(6) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 369 ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج1 ، ص 74 .

(7) ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج3 ، ص 183 ، للاستزادة ، ابن عبد الظاهر ، محي الدين ابو الفضل عبد الله رشيد الدين بن نشوان المصري ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق الخويطر (الرياض 1396هـ) ص 52 ؛ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج1 ، ص 54 ؛ ابن كثير ، البداية ، ج13 ، ص 178 ، المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص 237 ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج1 ، ص90 .

الخليفة المستعصم بالله [1] . وكان المماليك من وراء تحركهم هذا يحاولون القضاء على المعارضة الايوبية في مصر وبلاد الشام ، وكسب رضا الناس (ليجتمع الكل على طاعته ويرتفع الخلاف) [2] ، ولكن كل هذه التدابير لم تمنع تحرك الايوبيين باتجاه مصر الذين هزموا من قبل المماليك قرب العباسة [3] .

التحديات التي واجهت قيام الدولة المملوكية :

ثالثاً : التحديات التي واجهت قيام دولة المماليك :

الاوضاع السياسية في بلاد الشام في اعقاب مقتل الملك تروانشاه عام 648هـ/1260م

كانت بلاد الشام مقسمة بين ابناء البيت الايوبي حيث جعلوا منها ممالك مستقلة [4] رغم اعترافهم الضمني لسلطنة الملك الصالح ايوب لكت عقب اغتيال الملك تورانشاه عام 648هـ/1250م في مصر من قبل مماليك والده وتوليهم لسلطنة مصر على الرغم من تنصيب الاخرين لامير ايوبي سلطانا لمصر [5] اذ تمكن الملك المغيث عمر من الملك العادل بن الملك الكامل من الاستيلاء على الكرك بعد ان قام الطواشي [6] بدر الدين الصاوبي الصالحي نائب الملك الصالح ايوب بالكرك باطلاق سراحه وتمليكه الكرك والشوبك [7] كما استولى الملك السعيد

---

(1) ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر ، ج3 ، ص 192 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 370 ؛ العبادي ، قيام دولة المماليك ، ص 125 .

(2) العيني ، عقد الجمان ، ص 35 .

(3) العيني ، عقد الجمان ، ص 40 ، كما سنوضحه لاحقا .

(4) كانت حلب تحت حكم الملك ناصر يوسف الثاني اما حمص فكان حاكمها الملك الاشرف موسى ابن الملك المنصور ابراهيم ابن الملك شيركيوه اما حاكم حماه فهو الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر اما عينتاب فكان حاكمها الملك الصالح صلاح الدين احمد ابن الملك الظاهر غازي انظر العيني ، عقد الجمان ، ص32 .

(5) كان الملك المغيث يقيم عند عماته في القاهرة في قلعة الجبل وعندما توفي الملك الصالح ايوب بلغ الامير حسام الدين بن ابي يعلي نائب السلطنة في القاهرة ان الامير فخر الدين ابن الشيخ قد يطلق سراحه ويسلمه السلطنة في مصر فقام باعتقاله بالقلعة وبعد وصول الملك تورانشاه الى مصر امر بسجنه في الشوبك تحسبا منه . ينظر العيني ، عقد الجمان ، ص32 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص369.

(6) الطواشي ، معناها الجندي وليس كما تعنيه عادة (خصي) ، شافع بن علي ، حسن المناقب ص32 ، هامش 3 .

(7) النويري ، نهاية الارب ، ج29 ، ص384 .

ابن الملك العزيز ابن الملك العادل [1] على قلعة الصبيبة [2] اما الملك الناصر يوسف الثاني والي حلب الذي اجتمع حوله البيت الايوبي معتبريين المماليك مغتصبين حقوقهم في سلطنة مصر اذ قام بتحركاته العسكرية لضم مدينة دمشق اليه مستغلا مكاتبة الامراء القيمرية [3] له يستدعونه الى دمشق ليسلوا اليه المدينة فاتجه اليهم وتسلم المدينة دون اية مقاومة في العاشر من ربيع الاخر عام 648هـ/1250م ثم اعقبها استيلائه على بعلبك وعجلون وشميس [4] وبذلك استطاع من توحيد البيت الايوبي في بلاد الشام للتصدي لاطماع المماليك في مصر . فيما كان الملك المعز يخطط لضم بلاد الشام [5] اذ اعد حملة بقيادة الامير حسام الدين بن ابي للتوجه الى دمشق لكن الاخبار وصلت قبل تحركه ان الامراء القيمرية كتبوا الى الملك الناصر يوسف الثاني يستدعونه لتسلم دمشق [6] كما اعلن والي غزة الامير ركن الدين خاص ترك [7] تاييده للملك الناصر يوسف الثاني [8]

التحرك العسكري الايوبي تجاه مصر :

لم يمنع تنصيب الاشرف مظفر الدين موسى سلطانا لمصر ملوك بني ايوب من التطلع الى مصر وتوجيه جيوشهم لاسقاط حكم المماليك رغم ما قام به الملك المعز من احتياطات تحسبية منها امر بهدم سور دمياط خشية من هجوم صليبي على مصر كما اطلق سراح بعض الاسرى الصليبيين لمنع أي تحالف محتمل بين الملك الناصر يوسف الثاني والملك لويس التاسع

---

(1) كان الملك السعيد قد سلم قلعة الصبيبة للملك الصالح ايوب واصبح احد اتباعه وقام في القاهرة لكن بعد مقتل الملك تورانشاه هرب من مصر واستولى على اموال غزة ثم على قلعة الصبيبة ، العيني ، عقد الجمان ، ص32 .

(2) الصبيبة اسم لقلعة بانياس في الشام وهي من ساحل البحر المتوسط ، ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص248.

(3) القيمرية جماعة من الاكراد جاءت تسميتهم نسبة الى قلعة قيمر تقع بين الموصل وخلاط واهلها من الاكراد ، انظر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م1 ، ص424 .

(4) العيني عقد الجمان ، ص33 ، المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص367 .

(5) الخويطر ، الملك الظاهر بيبرس ، ص15 .

(6) العيني ، عقد الجمان ، ص32 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص367 .

(7) هو ركن الدين ترك بن عبد الله الصالحي النجمي توفي في دمشق عام 684 هـ /1275م ، (ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص249) ، حيث هرب مع بعض الامراء الى السائح ، العيني ، عقد الجمان ، ص360 .

(8) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص249 .

في عكا [1] ، الذي فضل الوقوف على الحياد وانتظر الى ما ستؤول اليه المعركة . كما ارسل الامير فارس الدين اقطاي الى الصالحية [2] للحيلولة دون سيطرة الملك الناصر يوسف الثاني عليها ولكي يقطع الطريق على الملك الناصر يوسف الثاني من الوصول الى القاهرة [3] .

وفي الخامس عشر من ذي القعدة 648هـ/ 1250م ، التقى الجيشان عند مدينة العباسة [4] وكادت المعركة ان تنتهي بهزيمة الملك المعزايبك وانتصار الملك الناصر يوسف الثاني ، لكن انضمام المماليك العزيزية [5] الى عساكر الملك المعز غير من موازين القوى ، وادى هزيمة الملك الناصر يوسف الثاني ، وانتصار الملك المعز وهروب الملك الناصر يوسف الثاني ووقوع كثير من اتباعه في الاسر [6] واستثماراً للنصر الذي احرزه المماليك في معركة العباسة ، أرسل الملك المعز عام 649هـ/1251م ، الامير فارس الدين اقطاي بحملة عسكرية استولت على غزة

---

(1) عرض الملك الناصر يوسف الثاني على الملك لويس التاسع تسليمه بيت المقدس مقابل دعمه ضد الملك المعز ، فلما سمع بذلك الملك المعز هدد بقتل الاسرى الصليبيين ،كما تعهد للملك لويس بتعديل معاهدة دمياط مع تنازله عن نصف الفدية ، انظر ، رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص 475 ؛ العبادي ، قيام دولة المماليك ، ص 126 .

(2) الصالحية : قرية بين الشام ومصر على حدود منطقة الرملة ، بناها الملك الصالح نجم الدين ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 372 .

(3) ليمنع زحف الملك الناصر يوسف الثاني باتجاه القاهرة المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 372 ، كما أشاع الملك المعز بأنه تم الصلح مع الملك المغيث صاحب الكرك ، المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 371 وكان القصد هو منع أي تقارب بين الملك المغيث والملك الناصر يوسف الثاني .

(4) العباسة : مدينة تقع بين مدينتي بلبيس والصالحية في مصر ، المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 372-373 .

(5) العزيزية نسبة الى الملك العزيز محمد والد الملك الناصر يوسف الثاني ، انتقلوا لخدمته بعد وفاة والده عام 634هـ/1236م ، وقد انضموا الى المماليك في مصر بعد رجحان كفة الايوبيين ويعلل المقريزي ذلك بسبب الجنسية (السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 277 ، 297) لكن من سرد الاحداث التاريخية ان المماليك عند أي تهديد لوجودهم او كيانهم ، سرعان ما يتناسون خلافاتهم ويتحدون ضد أي عدو ، العيني ، عقد الجمان ، ص 40-41 .

(6) ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج8 ، ص 16 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 374؛ العيني ، عقد الجمان ، ص 40-41 .

والساحل [1] ونابلس الى نهر الشريعة (نهر الاردن) ، ثم قفل عائداً الى القاهرة [2] . اثار الملك الناصر يوسف الثاني هذا التحرك الخطير الذي ادى لتوسيع املاك المماليك على حساب الايوبيين في بلاد الشام ، وكرد فعل ، جهز الملك الناصر يوسف الثاني حملة أوعز بقيادتها الى الامير الامجد بن عادل للتوجه الى مصر وما ان وصلت أخبار هذه الحملة الى الملك المعز حتى خرج بعساكره الى الصالحية للتصدي لها ، الا ان عساكر الملك الناصر يوسف الثاني اقامت في غزة [3] ، واستمرت حالة الترقب بين العسكرين حتى عام (651هـ / 1253م) عندما تدخل الخليفة العباسي المستعصم بالله لحسم هذا النزاع بواسطة رسوله نجم الدين بن محمد بن الحسن البادرائي [4] ، الذي اثمرت جهوده في عقد الصلح بينهما عام (652هـ / 1254م) على ان يكون للماليك مصر وغزة والقدس ونابلس والساحل ويكون للملك الناصر يوسف الثاني بقية بلاد الشام وان يقوم المماليك باطلاق سراح جميع الاسرى من اتباع الملك الناصر يوسف الثاني [5] . وتعد هذه المعاهدة بمثابة اعتراف رسمي بشرعية قيام دولة المماليك في مصر وقسم من فلسطين من قبل الخلافة العباسية والملك الناصر يوسف الثاني وجاء تحرك الخلافة لحسم النزاعات الداخلية بين القوى الاسلامية في مصر والشام ، من اجل توحيد الكلمة ورص الصفوف للإتفاف حول الخلافة ، لمواجهة الخطر المحدق بالامة العربية والاسلامية من قبل المغول ، الذين عاثوا في البلاد خرابا [6] .

---

(1) الساحل يقصد به ساحل البحر المتوسط وشواطئه ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م3 ، ص 170 .

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص 181 ؛ العيني ، عقد الجمان ، ص 51 .

(3) ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج8 ، ص 19 ، الذهبي ، دول الاسلام ، ج2 ، ص 155–157 .

(4) البادرائي ، هو عبد الله بن محمد بن الحسن البغدادي نجم الدين البادرائي نسبة الى بادرايا قرية قرب واسط توفي عام 655هـ/1257م ، الكتبي ، عيون التواريخ ، ج20 ، ص 115–116 .

(5) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ق2 ، ص 787 ، ابن العميد ، اخبار الأيوبيين ، ص 164 بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة ، ص 6 .

(6) استغل المغول هذه الخلافات والصراعات فاتجهت قواتهم صوب الجزيرة وسروج وراس العين عام 650هـ/1252م ، وافسدوا في الارض . وقتلوا اكثر من عشرين الف شخص ، وشملت هجماتهم اطراف العراق قرب بغداد ، عويدات ، احمد ، وجميل شحادة الناطور ، تاريخ المغول والمماليك من القرن السابع الهجري حتى القرن الثامن الهجري ، دار الكندي (اربد – 1990) ص 79 .

ثانياً : حركة عرب صعيد مصر :

ادى تسلم السلطنة من قبل المماليك في مصر الى خروج عرب الصعيد على السلطنة وذلك لسببين ، الاول يتعلق بالدوافع الاقتصادية :

اذ اثار تعسف امراء المماليك في تحديد اثمان المنتوجات الزراعية واحتكارها ومن ثم التلاعب باسعارها ، اثار حفيظة اهل الصعيد كونهم يمثلون طبقة الفلاحين انذاك ، فخرجوا على المماليك طوال فترة حكمهم . [1] اما الدافع الثاني فيتمثل في الاهداف السياسية :

اذ كان عرب صعيد مصر يدعون الى القضاء على حكم المماليك واعادته للعرب ، ورفعوا شعار " نحن اصحاب البلاد وباننا احق بالملك من المماليك وقد كفى اننا خدمنا بني ايوب وهم خوارج خرجوا على البلاد " [2] كذلك اتبع المماليك سياسة العنف والقسوة بعد انتصارهم على الملك الناصر يوسف الثاني في معركة العباسة عام 649هـ/1251م فاعتقد المماليك ان مصر اصبحت لهم ففرضوا الضرائب الكبيرة [3] مما زاد الاستياء ضدهم وبدأ الناس يسمعون الملك المعز ايبك ما يكره وهو (ان اهل مصر لم يرضور بسلطان مسه الرق وظلوا الى ان مات السلطان ايبك وهم يسمعونه ما يكره حتى في وجهه اذا ركب ومر في الطرقات ويقولون لا نريد الا سلطانا رئيسا مولودا على الفطرة [4] وقاد تلك الحركة حصن الدين ثعلب الذي ادعى النسب العلوي واقام له دولة في مصر الوسطى في المنطقة الشرقية بالوجه البحري وكانت قاعدتها في الفيوم في مدينة دهروط [5] وارسل الى الملك الناصر يوسف الثاني لمساندة

---

(1) محمود السيد ، تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي ، (الاسكندرية 1997م) ص 128–129؛ سالم ، تاريخ الايوبيين والمماليك ، ص 211–212 .

(2) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 386 ، 387 ؛ عاشور ، مصر في عصر دولة المماليك ، ص 25 ؛ محمود السيد ، تاريخ عرب الشام ، ص 128 .

(3) محمود السيد ، تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي (الاسكندرية مؤسسة شباب الجامعة ، 1997) ، ص128–129 ؛ سالم ، تاريخ الايوبيين والمماليك ، ص211–212 .

(4) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص13 .

(5) هو حصن الدين بن ثعلب الجعفري ينتهي نسبه كما يدعي الى جعفر بن ابي طالب وكان من الاشراف الاغنياء في الصعيد ومقره في مدينة دهروط او (ديروط) ، انظر النويري ، نهاية الارب ، ج29 ، ص428–429 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص786 –787 .

حركته هذه ضد المماليك [1] ، لكن طلبه جاء متأخراً لوجود معاهدة بين الملك الناصر يوسف الثاني والمماليك . اما الموقف المملوكي من هذه الحركة ، فقد ارسل المعز حملة عسكرية قوامها خمسة الاف من المماليك بقيادة الامير فارس الدين اقطاي ، استطاعت القضاء على هذه الحركة عام 651هـ / 1253م ، والقت القبض على قائدها الشريف حصن الدين وزجته في السجن ومن ثم قتله سنة 660هـ[2] .

(1) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 386-387 .

(2) اصطدمت الحملة المملوكية بحصن الدين عند مدينة بلبيس ، ومن ثم اعتقاله في الاسكندرية ثم امر الملك المعز قتله ، بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة ، ص 12 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 387 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج5 ، ص 375 ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج4 ، ص 68 .

مقتل الامير فارس الدين اقطاي في (3 شعبان 652هـ / 1254م)

قاد اقطاي المعارضة ضد الملك المعزايبك بعد خمسة ايام من توليته للسلطنة في مصر [1] ، كما مهد لتنصيب ملك ايوبي ، الى من نفوذ الملك المعز الذي قرر التخلص منه ، بارساله في حملات عدة ضد الايوبيين ، كما ارسله الى صعيد مصر لاخماد حركة حصن الدين حيث نجح في حملاته وزادت من سطوته ونفوذه ، وقد استغل الملك المعز الهدنة مع الملك الناصر يوسف الثاني واستتباب الامور ، مهدت الطريق امامه لانهاء الخطر المحدق بعرش سلطانه والمتمثل بالفرقة البحرية وقائدها الامير فارس الدين اقطاي [2] الذي اتخذ مجموعة من التدابير للقضاء عليه منها :

أ-عمد على انشاء فرقة من المماليك اطلق عليها اسم الفرقة المعزية نسبة إليه [3]

ب-عين مملوكه سيف الدين قطز نائبا للسلطنة [4]

وكان يهدف من ذلك ايجاد نوع من التوازن بين القوى بعد هيمنة المماليك البحرية في مصر ، والعمل على إضعاف الامير اقطاي الذي بدأت تتعاظم سلطته ونفوذه ، ويؤرخ العيني بقوله : ((فسمت نفس الامير فارس الدين وعلت رتبته وكثرت اتباعه وشيعته .. وكانوا لايعباؤن بالملك المعز ولايلبسون ثوب عز ، بل يهضمون جانبه ويعطلون مراسمه ومآربه وينقصون حرمته وعمل الحيلة على قتل فارس الدين اقطاي لانه الراس ، واذا قتله لايثبت بنيان البحرية

---

(1) حول معارضته للملك المعز ، وزيادة نفوذه وسطوته ، واقطاعاته بعد أن انعم عليه الملك المعز اقطاع ولاية الاسكندرية والتصرف في بيت المال ، انظر ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ق2 ، ص 792-793 ؛ ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج8 ، ص 25 ، الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك ، الوافي بالوفيات ، تحقيق هملتون ريتر ، ط2 فسبادن ، دار النشر فرانز اشتاير ، 1383هـ ، ج9 ، ص 317 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص 10-12 .

(2) هو اقطاي بن عبد الله الجمدار ، الامير فارس الدين الصالحي النجمي التركي ، اشتراه الملك الصالح ايوب بالف دينار قتل 652هـ/1254م ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج1 ، ص 502 ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج5 ، ص 255 .

(3) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج1 ، ص 74 ؛ العبادي ، قيام دولة المماليك ، ص 133 ؛ عاشور ، مصر في عصر دولة المماليك ، ص 26 .

(4) العيني ، عقد الجمان ، ص 79 .

بغير اساس " [1] ويشير هذا النص الى المنزلة التي وصل اليها فارس الدين اقطاي من نفوذ وسلطة فكان يسمي الملك المعزايبك باسمه ايبك في حين يطلق عليه اصحابه الملك الجواد [2] ، وكان في سيره يحوطه حرس عظيم من الفرسان ، ويضيف المقريزي تمادي المماليك البحرية في تجاوزهم على الناس فيقول : ((ونزل بالناس من البحرية بلاء لا يوصف ما بين قتل ونهب وسبي بحيث لو ملك الفرنج بلاد مصر مازاد وافي في الفساد على فعلة البحرية)) [3] . كما بدا اصحابه يخططون للتخلص من الملك المعزايبك وقتله ، ليتولى السلطنة الامير فارس الدين اقطاي [4] ولدعم مسعاه للسلطنة خطب بنت صاحب حماه [5] ، وطلب من الملك ، المعزايبك ان تقيم في القلعة [6] كونها من بنات الملوك لكي يحصل على تاييد شرعي للوصول للسلطنة عن طريق البيت الايوبي . [7] وهذا يعني مشاركة الملك المعزايبك في مسكنه ، ولم يستطع رد طلبه لانه سيكشف نواياه المبيته للتخلص منه ، ومن ثم الاصطدام به ، ولم يكن قد اعد العدة لذلك ، في حين كانت الفرقة البحرية وامرائها يرقبون الوضع عن بعد ، ويتحينون اية فرصة للانقضاض على الملك المعزايبك والقضاء عليه .

---

(1) العيني ، عقد الجمان ، ص 80 .

(2)ابن تغري بردي ، جمال الدين ابي المحاسن يوسف ، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق احمد يوسف نجاتي (القاهرة 1956م) ج1 ، ص 11 .

(3) المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص 237 ، يبدو ان القول مبالغ فيه نوعا ما ، رغم ظلمهم وتعديهم على الناس .

(4) المقريزي السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 386 .

(5) خطب بنت الملك المظفر تقي الدين محمود ، ينظر ، ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج8 ، ص 25 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص 18 .

(6)قلعة الجبل تقع بين القاهرة والمقطم والفسطاط ، انشأها صلاح الدين الايوبي ، القلقشندي ، صبح ، ج3 ، ص 382 .

(7)العبادي ، قيام دولة المماليك ، ص 133-134 ؛ الخويطر ، الملك الظاهر ، ص 16 ؛ Islam…, Islam. Org.

لذا كان يعد العدة لتدبير مكيدة مع نائبه الامير قطز للانفراد بالامير اقطاي وقتله يوم الاربعاء (3 شعبان عام 652هـ/ 1254)[1] ولما علم خشد اشيته بذلك توجهوا الى القلعة لانقاذه ظناً منهم انه لم يقتل لكن الملك المعزايبك ألقى برأسه من القلعة ، فحبط عزيمتهم وأثار الرعب والهلع في قلوبهم ، فهربوا خارج القاهرة ، فتوجه قسم منهم الى الملك المغيث صاحب الكرك ، فيما اتجه آخرون الى الملك الناصر يوسف الثاني [2] ، وكان من نتائج اغتيال الامير فارس الدين اقطاي ، انفراد الملك المعز بالسلطنة وعزل الملك الاشرف موسى وحذف اسمه من السكة والخطبة [3] . وقد تجددت الخلافات مع الايوبيين في بلاد الشام بعد وصول المماليك البحرية الى دمشق [4] ، الذين بداوا يحرضون الملك الناصر يوسف على الخروج واخذ مصر بمساندتهم لهم على الرغم من تحذير الملك المعزايبك له من المماليك البحرية .

لكن الملك الناصر يوسف الثاني قرر الخروج بعساكره الى غور الاردن عام 652هـ/ 1254م [5] ، وكانت جماعة من المماليك البحرية في الصعيد قد استولوا على بعض المدن وخطبوا للملك الناصر يوسف الثاني ، وارسلوا له يعلمونه بذلك ويحثونه على القدوم الى مصر ، ولما علم بذلك الملك المعز خروج بعساكره الى العباسة للتصدي للعساكر الشامية التي يدعمها المماليك البحرية [6] ، واثناء اقامة الملك المعز بالعباسية قبض على مماليكه العزيزية لتامرهم

---

(1)هناك روايتان حول مقتل الامير اقطاي ، تذكر الاولى انه طلب المال من الملك المعز فلم يعطه لخلو الخزينة ، فانزعج اقطاي واغلظ بالكلام على الملك المعز فطلب منه الاخير الصعود للقلعة بعد انتهاء الخدمة ليريه الخزنة ، واثناءها دبر امر قتله ، ابن ايبك ، الدواداري ، كنز الدرر ، ج8 ، ص 25–226 .
اما الرواية الثانية ، انه استدعاه الى القلعة من اجل التشاور معه في امور مهمة ، فكمن له مماليكه وراء الاعمدة في القلعة وقتلوه . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 390 ؛ العيني ، عقد الجمان ص 81 ؛ واشترك في قتله الامير قطز وبهادر وسنجر الغتمي مماليك الملك المعز .
Sadque, Syedah Fatima. Baybars of Egypt , OXFord- 1956 PP.,29-43.

(2) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 391 ؛ العيني ، عقد الجمان ، 80 ، 86 ، 88 .

(3) ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج3 ، ص 190 .

(4) تزعم المعارضة المماليك البحرية الامراء بيبرس البندقداري وسيف الدين قلاوون الالفي ... وغيرهم حيث استأذنوا من الملك الناصر يوسف الثاني ، فاذن لهم ودخلوا في خدمته ، للاستزادة : ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص 254 ؛ الذهبي ، دول الاسلام ، ص 235 ؛
Sadeque: Baybars, P.,34.

(5) ابن العميد ، أخبار الايوبيين ، ص 164 ؛ الكتبي ، عيون التواريخ ، ج20 ، ص 76 .

(6) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص 55 .

عليه [1] واستمر هذا الوضع حتى عام 654هـ / 1256 م ، حين تدخلت الخلافة ثانية بعد ان وصلت الاخبار بان المغول وصلوا الى اذربيجان قاصدين بلاد الشام في وقت كان الملك الناصر يوسف الثاني في غور الاردن قاصدا احتلال مصر فعند تدخل الخلافة لانهاء هذا الصراع بتجديد عقد الصلح ثانياً عام 654هـ/ 1256م ، فضلا عن التماس الملك المعز من الخليفة تشريفه له بالتقليد والخلع [2] .

---

(1) العيني ، عقد الجمان ، ص 107 .

(2) الكتبي ، عيون التوارخ ، ج20 ، ص 93 ؛ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج1 ، ص 11 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص 12 .

الفصل الثاني

التحولات السياسية والعسكرية في مصر وبلاد الشام بعد مقتل الملك المعز ايبك 655-657هـ/1257-1259م .

أولا: مقتل الملك المعز ايبك 655هـ/1257م

ثانيا: سلطنة الملك المنصور علي 655هـ/1257م .

أ-موقف الأيوبيين في بلاد الشام بعد مقتل الملك المعز ايبك واجراءات قطز تجاههم

ب-قطز – حياته – موقفه من الاحداث المستجدة .

ج-إجراءات قطز في التصدي للعناصر المعارضة لتولية الملك المنصور علي (داخليا وخارجيا) .

د-موقف قطز من التقارب بين الملك الناصر يوسف الثاني وهولاكو .

ثالثا : استقبال قطز وفد الملك الناصر يوسف الثاني وصعود قطز الى قمة السلطنة في مصر .

أ-قطز سلطان مصر .

ب-توطيد دعائم حكم الملك المظفر قطز .

أولا : مقتل الملك المعز آيبك 655هـ/1257م

اجتمعت جملة من العوامل قادت إلى اغتيال الملك المعز على يد زوجته شجرة الدر ، بعد ان استدرجته إلى القلعة حيث أعدت له مكيدة انتهت بمقتله يوم الثلاثاء (24 ربيع الأول عام 655هـ/1257م) بعد حكم دام 7 سنيين الا ثلاثة ثلاثين يوما ومن جملة تلك العوامل :-

أ-استبداد شجرة الدر بأمور الدولة وعدم اطلاعه على الكثير منها (1) ، وكان الملك المعز يستشيرها في جميع شؤونه ، كما يذكر أبن تغرى بردي بان ((ظلت شجرة الدر مسؤولة على أيبك في جميع أحواله ليس معها كلام ..)) (2) ، وكان لا يقطع أمرا دونها ، لكنه بعد مقتل الأمير فارس الدين اقطاي تغير عليها ، كما ذكر ذلك أبن أيبك الدواداري بقوله "((...تغير على شجرة الدر منذ مقتل اقطاي فبدأ يستبد بالأمر بنفسه)) (3).

ب-إخفاءها ذخائر الملك الصالح أيوب ، وعدم اطلاعه عليها (4) ، كما كانت تمنعه من الذهاب إلى زوجته الثانية ، كما ألزمته بطلاقها مما جعله يضجر منها (5) .

ج_ لقد جمعت شجرة الدر كل العناصر المناوئة مما جعلها تشكل ضغطا على الملك المعز داخل مصر وخارجه والعمل على الإطاحة به ، وأقامت مكانه شخصا آخر تستطيع بواسطته إعادة منزلتها السابقة (6) إذ اتصلت بالملك الناصر يوسف الثاني ، تخبره أنها عازمة على التخلص من الملك المعز والتزوج منه ، وتمليكه مصر ، لكنه لم يرد عليها خوفا من ان تكون خديعة كما أن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل أتصل بالملك المعز واخبره بمراسلة زوجته شجرة الدر للملك الناصر يوسف الثاني .(7) كما أنها اتصلت بالمماليك البحرية في الكرك من أجل التخلص من زوجها . (8) .

د-كانت شجرة الدر تمن عليه أنها ملكته مصر ، وأغدقت عليه الأموال (9) .

---

(1) المقريزي ، السلوك ، ج1،ق2،ص403، أبن اياس ، بدائع الزهور ، ج1،ص75

(2) النجوم الزاهرة ، ح6،ص374

(3) كنز الدرر ،ح8،ص31-32

(4)المقريزي ، السلوك ، ج1،ق2،ص403، أبن اياس ، بدائع الزهور ، ج1،ص75

(5) المصدر نفسه ، ج1،ق2،ص403

(6) الخويطر، الملك الظاهر ، ص18

(7) المقريزي ، السلوك ، ح1،ق2،ص402

(8) العبادي،قيام دولة المماليك،ص137

(9) ابن العميد، أخبار الأيوبيين ، ص 165 .

هـ-تعزو كثير من المصادر سبب قتله إلى غيرة شجرة الدر من الضرة المنتظرة ، وغضبها عليه بعد أن علمت خطبته لابنة بدر الدين لؤلؤ [1] ، أو بنت صاحب حماة [2] .

نستنتج من تحليل هذه الآراء أن الملك المعز أراد التخلص من زوجته شجرة الدر ، بعد أن تمكن من تصفية جميع خصومه في الداخل والخارج ، وكان يستند إلى مساندتها في التصدي للمماليك البحرية ، لما يكنونه لها من احترام كونها زوجة أستاذهم الملك الصالح نجم الدين أيوب ووقوفها بجانبهم عند اغتيال الملك توران شاه لكن تصفية أمراء البحرية، وتشتيت قواهم ، واضمحلال تأثيرهم على الساحة السياسية آنذاك ، فسح المجال للملك المعز للانفراد بالسلطنة ، واستبداده بالأمور ، فكان لابد من التخلص من زوجته شجرة الدر العقبة الأخيرة ، لكنها شعرت بما يخططه تجاهها ، فتآمرت مع خمسة من غلمانها لقتله والتخلص منه وإحياء طموحها بالعودة لكرسي السلطنة ثانية [3] ، مما يجعلها أن تجيد حبك المؤامرات والدسائس للتخلص من منافسيها .

حاولت شجرة الدر أن تكمل ما بدأت به بعد تنفيذ خطتها في اغتيال الملك المعز آيبك ، فعرضت السلطنة على الأمير عز الدين الحلبي الكبير.[4] وهو من أعيان الدولة ، لكنه لم يجرا على قبولها ، لخوفه من عاقبة الأمور وما أن ذاع خبر وفاة الملك المعز ، حتى أسرع مماليكه المعزيه إلى القلعة ليتحققوا من الأمر واستنطقوا الخدم [5] ، الذين اعترفوا بقتلهم الملك المعز بأمر من شجرة الدر بعد تعرضهم للتعذيب ، فأرادوا القبض عليها ، ألا أن المماليك الصالحية منعوهم

(1) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج1 ، ص45-46 ، أبو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج3 ، ص192-193

(2) العيني،عقد الجمان،140-141، المقريزي ، السلوك،ج1،ق2،ص403 كان الملك المنصور ناصر الدين محمد بن المظفر صاحب حماة ، ويبدو أن ابنته التي خطبها الملك المعز، وان لم يتم الزواج منها بسبب قتله لان بعض المصادر تورد انه خطب بنت بدر الدين لؤلؤ ينظر النويري نهاية الارب ج29 ، ص429.

(3) في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ربيع الأول، لما عاد الملك المعز إلى القلعة ، ودخل الحمام أحاط به جماعة من الخدم وقتلوه ، للاستزادة ، العيني ، عقد الجمان ، ص142 ، اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج1 ، ص45 .

(4) هو آيبك بن عبد الله الصالحي النجمي الكبير ، الأمير عز الدين توفي عام 655هـ/1257م ، أرسلت شجرة الدر إصبع الملك المعز وخاتمه ، وطلبت أن يقوم بالأمر فلم يقبل ، العيني ، عقد الجمان ، ص142 ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة الزاهرة ، ج6،ص375

(5) بعد تعذيب الخدم اعترفوا بقتلهم للملك المعز بأمر من شجرة الدر ، فاعدموا وهرب أحدهم وهو سنجر الجرجري ، لكنه قبض عليه وقتل . العيني ، عقد الجمان، ص143.

أول الأمر لكن ما لبثوا ان تركوها تلاقي مصيرها على يد ضرتها أم علي وجواريها إذ رمت جواري أم علي شجرة الدر من القلعة ، وتركت أياما دفنت بعدها [1] .

ثانيا:- سلطنة الملك المنصور علي:-

سادت بعد مقتل الملك المعز الفوضى بين المماليك في مصر، إذ انحاز المماليك الصالحية إلى الأمير علم الدين سنجر الحلبي ليتولى السلطنة في حين اختار المماليك المعزية أبن أستاذهم الملك المعز ، لكن في النهاية انتصر المماليك المعزية ، واتفقوا على إقامة نور الدين علي بن المعز آيبك سلطانا ولقبوه بالملك المنصور علي ، ولم يتجاوز بعد الخامسة عشرة من عمره [2] . ثم القي بعدها القبض على الأمير علم الدين سنجر الحلبي الذي كان أتابكا للملك المنصور علي ، وعينوا مكانه الأمير إقطاي المستعرب الصالحي.[3]

إن المماليك لم يؤمنوا مطلقا بمبدأ الوراثة في الحكم ، وإنما اعتنقوا مبدأ الحكم للأقوى لكنهم عند وفاة السلطان قاموا بتنصيب أبنه ، لاحتواء الموقف ، ومن ثم تصفية العناصر المنافسة ليرتقي بعدها الأمير الأقوى عرش السلطنة ، وإزاحة السلطان الضعيف ، وهذا مبدأ سارت عليه الدولة المملوكية طوال سني حكمها .

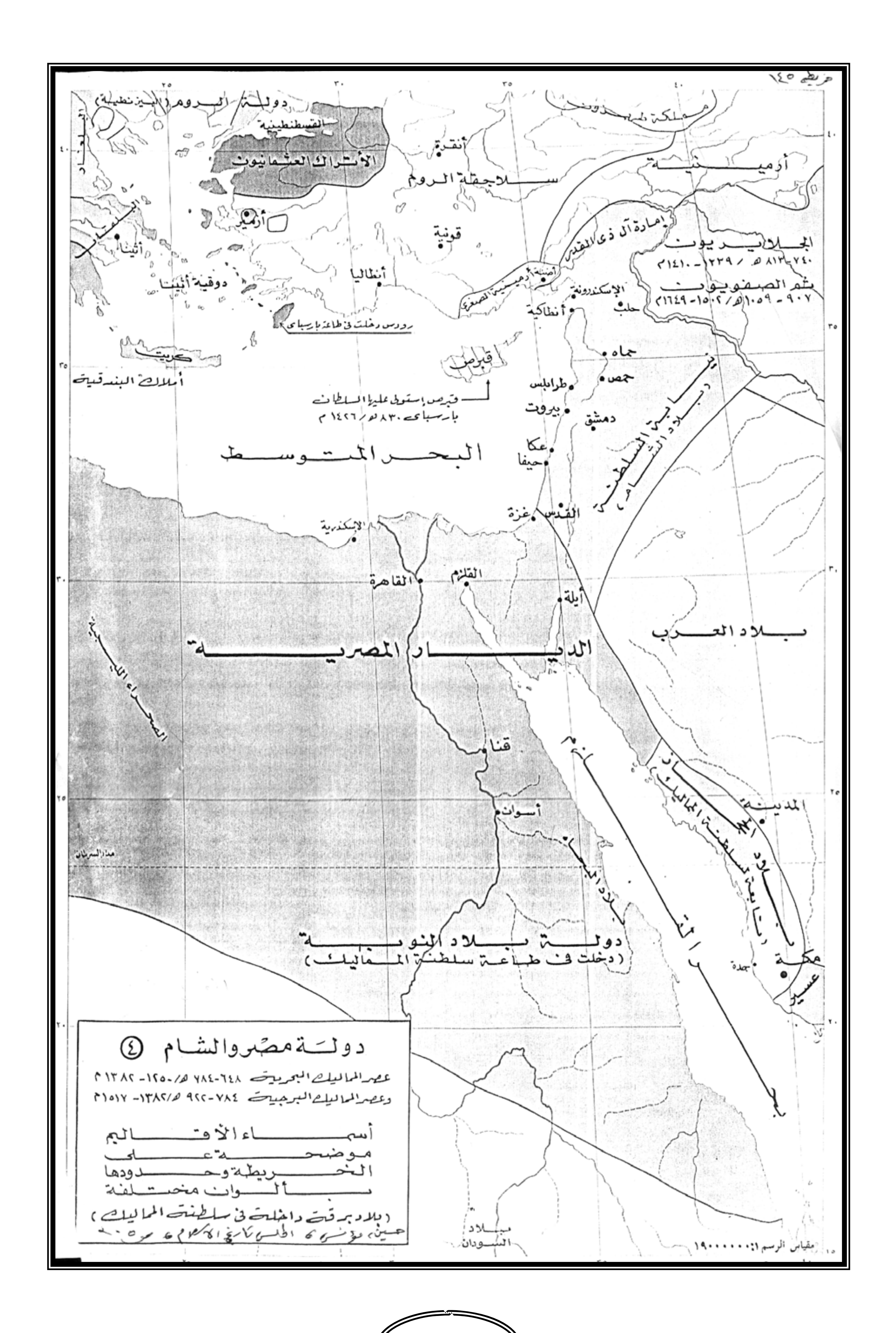
---

(1) المقريزي ، السلوك ، ج1،ق2،ص404

(2) تم إلقاء القبض على بعض المماليك الصالحين ، وهرب قسم منهم بعد رجحان كفة المماليك المعزية وانتصارهم لأبن أستاذهم ، أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6، ص376 ، المقريزي ، السلوك ، ج1،ق404،2 العيني ، عقد الجمان، ص143.

(3) بعد وفاة الملك المعز أصبح الأمير علم الدين سنجر الحلبي اتابكا للملك المنصور علي ، وعند منافسته له وهزيمة اتباعه المماليك الصالحية ، تم القبض عليه وتم تعيين الأمير فارس الدين اقطاي الصالحي المعروف بالمستعرب ، بيبرس المنصوري ، مختار الأخبار ، ص10

Lane. Poole, op. cit, p.,250



دولة الروم (البيزنطية)
القسطنطينية
الأتراك العثمانيون
أنقرة
سلاجقة الروم
أرمينية
إمارة آل ذي القدر
أرمينية الصغرى
الجلائريون
٧٤٠-٨١٣ هـ / ١٣٣٩-١٤١٠ م
ثم الصفويون
٩٠٧-١٠٥٩ هـ/١٥٠٢-١٦٤٩ م
قونية
أزمير
أنطاليا
أثينا
دوقية أثينا
رودس دخلت في طاعة بارسباي
كريت
أملاك البندقية
قبرص
قبرص استولى عليها السلطان بارسباي ٨٣٠ هـ/١٤٢٦ م
الإسكندرونة
أنطاكية
حلب
حماه
حمص
طرابلس
بيروت
دمشق
عكا
حيفا
البحر المتوسط
القدس
غزة
الإسكندرية
القاهرة
القلزم
أيلة
بلاد العرب
الديار المصرية
قنا
أسوان
المدينة
مكة
جدة
عسير
دولة بلاد النوبة
(دخلت في طاعة سلطنة المماليك)
بلاد السودان
مقياس الرسم ١:١٩٠٠٠٠٠٠
دولة مصر والشام ٤
عصر المماليك البحرية ٦٤٨-٧٨٤ هـ/١٢٥٠-١٣٨٢ م
وعصر المماليك البرجية ٧٨٤-٩٢٢ هـ/١٣٨٢-١٥١٧ م
أسماء الأقاليم موضحة على الخريطة وحدودها بألوان مختلفة
(بلاد برقة داخلة في سلطنة المماليك)

موقف الأيوبيين في بلاد الشام بعد مقتل الملك المعز آيبك واجراءات قطز تجاههم:-

بعد مقتل الملك المعز وتولي أبنه الملك المنصور علي السلطنة في مصر طرأت تحديات جديدة على ساحة بلاد الشام تمثلت بتحرك المماليك البحرية في بلاد الشام بقيادة الأمير بيبرس البندقداري الذي استبدل العلاقات والأواصر القديمة بالملك الناصر يوسف وكاتب الملك المغيث الأيوبي صاحب الكرك ،[1] الذي رحب به للإقامة عنده والقيام بخدمته ، وبدءوا بتحريضه للاستيلاء على مصر وتولي السلطنة فيها .[2]

فأعد الملك المغيث عمر حملة عسكرية تعدادها ألف فارس ، عهد بقيادتها إلى الأمير بيبرس في ذي القعدة عام (655هـ/1257م)،[3] للاستيلاء على مصر ، فلما وصل الخبر إلى مصر جُردت حملة عسكرية بقيادة الأمير قطز واشتبكت مع عساكر الملك المغيث عمر عند العباسة وانتهت المعركة بهزيمة الملك المغيث عمر ووقوع عدد من المماليك البحرية في الأسر عند المصريين [4] .

ثم شرع الملك المغيث الأيوبي بإعداد حملة عسكرية ثانية في ربيع الأول عام (656هـ/1258م) ، بعد أن نجح في ضم بعض أمراء المماليك الصالحية في مصر إليه ، الذين راسلوه قبيل إعداد هذه الحملة ،[5] فتصدى لهم قطز ثانية عند الصالحية ، واسفرت المعركة عن هزيمة الملك المغيث عمر ثانية وتراجعه إلى الكرك ، أما المماليك البحرية

---

(1) يذكر العيني أن المماليك البحرية في بلاد الشام ، تأمروا على قتل الملك الناصر يوسف الثاني فلما انكشف امرهم توجهوا إلى غزة ، وكاتبوا الملك المغيث عمر ، العيني ، عقد الجمان ، ص156، أبو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج3،ص192-193

(2) أبن عبد الظاهر، الروض الزاهر ، ص57، العيني، عقد الجمان ، ص157

(3) العيني، عقد الجمان ،ص157

(4) وقع في الاسر عدد من أمراء البحرية منهم سيف الدين قلاوون وسيف الدين بلبان الرشيدي للاستزادة ينظر ، العيني ، عقد الجمان ، ص157، أبو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج3،ص192.

(5) راسل بعض أمراء المماليك في مصر الملك المغيث عمر، منهم عز الدين الرومي ، والكافوري ، والهواش وغيرهم ينظر ، العيني ، عقد الجمان ، ص181

وقائدهم الأمير بيبرس البندقداري فأنهم اتجهوا إلى غور الأردن ملتجئين إلى الشهرزورية [1] فاتفق الطرفان على الدخول في طاعة الملك المغيث عمر [2] .

في هذا الظرف المشحون بالصراعات كانت عساكر المغول تحاصر بغداد والحرب قائمة بين المماليك والأيوبيين في مصر وبلاد الشام ، دون الالتفات للخطر القادم من الشرق ، فلم يعملوا على إسناد الخلافة العباسية في بغداد أو ضد المغول .

وقد أثار التحالف المريب بين المماليك البحرية والشهرزورية مع الملك المغيث عمر والي الكرك ، حفيظة الملك الناصر يوسف الثاني فعمل على التصدي لذلك التحالف الذي بدأ يهدد كيان دولته في بلاد الشام فاعد حملة بقيادة مجير الدين إبراهيم ونور الدين علي للتصدي للمتحالفين ، لكنه مُنيَ بهزيمة قاسية ، واسر قائد حملته عام 656هـ/1258م .[3]

فأراد المتحالفون الإفادة من ذلك النصر للاستيلاء على دمشق ، لكن الملك الناصر يوسف الثاني تمكن من التصدي لهم بعد استنهاض قواته وانزال الهزيمة بهم عند اريحا قرب غور الأردن ، وفر الملك المغيث عمر إلى الكرك عام 656هـ/1258م[4] .

وعندها طلب الملك الناصر يوسف الثاني من الملك المغيث عمر تسليمه المماليك البحرية ، فرفض طلبه مما دفع الملك الناصر يوسف الثاني إلى الاتجاه بقواته صوب الكرك وأقام عند بركة زيزاء [5] لمدة ستة أشهر [6] ، وجرت مفاوضات بينهم لتسليم المماليك البحرية المقيمين عند الملك المغيث عمر ، وقد استطاع الأمير بيبرس البندقداري وبعض الأمراء الهرب من الكرك في حين تم تسليم المتبقي منهم إلى الملك الناصر يوسف الثاني ، فاعتقلهم في قلعة حلب [7] .

---

(1) الشهرزورية ، طائفة من الاكراد قدموا من سهل شهرزور في مدينة السليمانية إلى دمشق فرارا من المغول ، فاستقبلهم الملك الناصر يوسف الثاني واستخدمهم لديه ، لكنه اعرض عنهم لشغبهم فرحلوا إلى غور الأردن ، المقريزي ، السلوك ،ج1،ق2،ص411، وكانوا زهاء ثلاثة الاف فارس

(2) أبن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص168، العيني ، عقد الجمان ، ص167

(3)العيني ، عقد الجمان ، ص181، أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7،ص46

(4) أبن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص169، المقريزي ، السلوك ، ج1،ق2،ص414

(5) بركة زيزاء :– من قرى البلقاء في الأردن ، فيها بركة كبيرة من الماء يقيم فيها الحجاج سوقا كبيرة كل عام ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3، ص163–164 ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج3، ص163

(6) أبن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص168

(7)أبن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص168، أبن الوردي ، تاريخ أبن الوردي ،ج2،ص288، الكتبي ، عيون التواريخ ، ج2،ص213.

أما الأمير بيبرس البندقداري واتباعه الهاربون فأنهم راسلوا الملك الناصر يوسف الثاني يدعونه للصفح عنهم ويستأذنونه بالدخول في طاعته ثانية ، فإذن لهم ، أما الشهرزورية فأنهم غادروا إلى مصر [1] .

قطز – حياته – موقفه من الاحداث المستجدة :-

هو سيف الدين ابو منصور قطز بن عبد الله التركي [2] وقطز بضم القاف والطاء المهملة وسكون الزاي ، هو لفظ مغولي بمعنى الكلب الشرس [3] ويبدو أن خصومه المغول أطلقوا عليه هذا الاسم عندما كان أسيرا لديهم وهو طفل إذ حُمل إلى دمشق مع باقي السبايا ، وبيعوا إلى تجار الرقيق هناك فاستقر الحال به عند ابن الزعيم [4] ، ثم انتقل إلى القاهرة ، وأصبح من مماليك الملك المعز آيبك التركماني ، الذي اشتراه من هناك ، وضمه إلى مماليكه وكان شابا أشقر اللحية [5] ، وقد مر بالمراحل التي كان يمر بها أي مملوك في تلك الفترة ، من حيث الإعداد التربوي والعسكري ، وترقى في الخدمة حتى صار من أكبر مماليك الملك المعز وأحبهم إليه وأقربهم إلى قلبه [6] , واصبح ساعده الأيمن [7] .

وترجح المصادر أصله إلى الخوارزميين ، إذ ترى أن أسمه الحقيقي هو محمود بن ممدود ، ويرجع نسبه إلى بيت الملك في خوارزم [8] ، وتنسبه إلى أسرة مسلمة ذات سلطان ونفوذ سابق هي أسرة السلطان جلال الدين خوارزم شاه ، الذي تصدى للمغول ، لكنه لقي حتفه عام 628هـ/1231م وانتهت عائلته سبايا بأيدي المغول [9] .كما يذكر أبن أيبك الدواداري [10] ، أن

---

(1)أبن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص168

(2)ابن الفوطي ، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين أحمد ، تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب ، تحقيق محمد عبد القدوس (لاهور ، مطبوعات دار احياء التراث القديم ،1940) ج5،ق2،ص85

(3) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7، ص72

(4) أبن الزعيم ، احد تجار الرقيق في بلاد الشام ، الكتبي ، محمد بن شاكر ، فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق احسان عباس ، (بيروت ، دار صادر ، 1973) ، ص268

(5) المصدر نفسه ، ص268 .

(6)ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7، ص84 ، الكتبي ، عيون التواريخ، ج20،ص241

(7) العيني ، عقد الجمان ، ص268، المقريزي، السلوك، ج1،ق2،ص405

(8) تذكر المصادر أن والده أبن عم السلطان جلال الدين الخوارزمي وامه اخت للسلطان للاستزادة ، أبن ايبك الدواداري، كنز الدرر ، ج8،ص39–40، المقريزي ، السلوك ج1،ق2،ص417، العيني ، عقد الجمان ، ص258، الصفدي ، الوافي بالوفيات ج2 ، ص 267 ، أبن العماد ، شذرات الذهب ، ج5 ، ص293 .

(9) ابن ايبك الدوادراي ، كنز الدرر ، ج8 ، ص39 –40 .

الملك قطز عندما كان عبدا عند أبن الزعيم بدمشق ، تعرض لضرب أستاذه ومن ثم لعن والديه ، مما أثار بكاء قطز وانتحابه ، وعندما سئل لم هذا البكاء والنحيب قال ((...ما بكائي وغيضي من بطشه ، فأن السيوف والله ما تعمل في وإنما غيضي على لعنته لوالدي وأبي وجدي ، وهم والله خير من آبائه وجدوده ...،أنا محمود بن ممدود أبن أخت خوارزم شاه)) كما اورد رواية أخرى تدعم الرواية الأولى يذكرها أبن أيبك الدواداري نقلا عن أبن الجزري [1] أستاذ الفارس أقطاي ، حادثة في عهد الملك المعز ، تدعم الرواية السابقة عند التقائه بالمنجم وحديثه معه ، ((وبقي زمانا يحسب فقال : يطلع معي خمسة حروف بلا نقط ، فقال له قطز : لم لا تقول محمود بن ممدود ، فقال يا خوند لا ينفع غير هذا الاسم ، فقال : أنا هو محمود بن ممدود ، وأنا أكسر التتار وأخذ بثأر خالي خوارزم شاه ..))[2] ومما يدعم هذه الروايات كتب هولاكو للملك قطز بعد توليته للسلطنة إذ قال ((...يعلم الملك المظفر قطز ، الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم يتنعمون بإنعامه ...)) [3] ، وتدرج قطز في المناصب حتى عين عام 650هـ /1252م ، نائبا للسلطنة [4] في مصر كما أشار العيني بقوله ((...ورتب سيف الدين قطز نائب السلطنة ، وكان أكبرهم وأقدمهم هجرة وأعظمهم لديه أُثرة)) [5] ، وكان أول ظهور له على مسرح الأحداث ، هو اشتراكه في قتل الأمير فارس الدين أقطاي الذي كان الملك المعز أيبك التركماني قد أعد مؤامرة للتخلص منه بعد أن أصبح الخطر الأول الذي يهدد عرشه عام 652هـ/1254م [6] وكان مقتل الأمير فارس الدين إقطاي إيذانا بانقسام المماليك إلى فرقتين متعاديتين هما المماليك البحرية

---

(10) كنز الدرر ، ج8، ص39 ، اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج1، ص368، العيني ، عقد الجمان ، ص255، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج7، ص84–85 .

(1) ابن الجزري، هو ابي الفوارس محمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن عبد العزيز ، العدل امين الدين الجزري المؤرخ ، ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج8، ص39–40 اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج1 ، ص368

(2) ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج8، ص83 ، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج7، ص72

(3) المقريزي، السلوك ، ج1، ق2، ص427 ، ينظر الملحق رقم (2) .

(4) أن منصب النيابة أو نائب السلطان لم تكن رتبة عسكرية بحتة لكنه كان النائب أي أنه السلطان الثاني ، وله صلاحيات واسعة مدنية وعسكرية وهو يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان انظر ، المقريزي ، الخطط ، ج2، ص215، القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج4،ص17

(5) العيني، عقد الجمان ص268

(6) كان الملك المعز ايبك قد طلب من الأمير اقطاي الحضور إلى القلعة كي يستشيره أو للتداول في بعض الأمور المالية ، وفي كبرى قاعات قلعة الجبل كان قد كمن له قطز وبها در وسنجر الغتمي حيث تم اغتياله (.. فباهروه بالسيوف حتى مات..) المقريزي ، السلوك ج1،ق2،ص390 ، اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج1، ص59

والمماليك المعزية ، مما عرض الدولة المملوكية إلى مخاطر عديدة ، وتعاطي الدسائس والمؤامرات بينهم [1] ، إذ هرب قسم من المماليك البحرية إلى بلاد الشام ، وبدءوا بتحريض ملوك بني أيوب على استعادة مصر .

وكان موقف الأمير سيف الدين قطز مشهودا ، فما أن انتشر خبر اغتيال الملك المعز عام (655هـ/1257م) حتى أسرع مع جماعة من المماليك المعزية إلى القصر السلطاني ، رغبة في الانتقام من قاتليه ، وحاول القبض على شجرة الدر ، لكن معارضة المماليك الصالحية له حال دون ذلك ، ومع ذلك افلح في القبض عليها بعد ذلك ، وحملها إلى بيت ضرتها أم علي التي أمرت جواريها بقتلها كما ذكر المقريزي ((.. فضربها الجواري بالقباقيب إلى أن ماتت في يوم السبت ، والقوها من سور القلعة إلى الخندق ...))[2] ، ومن ثم أقام أبن أستاذه نور الدين علي على عرش السلطنة في مصر ، بعد مصرع والده الملك المعز ايبك ، وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره وذلك في ربيع الأول عام 655هـ/1257م ، ولقب بالملك المنصور نور الدين علي [3] .

إجراءات قطز في التصدي للعناصر المعارضة لتولية الملك المنصور علي (داخليا وخارجيا) 655هـ/1257م:-

الإجراء الأول :-

تصفية العناصر المعارضة لتولية الملك المنصور علي داخليا :-

عارضت فئة من المماليك الصالحية ارتقاء الملك المنصور علي السلطنة ، وأرادوا تنصيب الأمير علم الدين سنجر الحلبي (اتابك العساكر) محله وحلفوا له [4] ،لكن سرعان ما تحرك الأمير سيف الدين قطز (نائب السلطنة)بمساندة الأمراء المعزية والقوا القبض على سنجر الحلبي وسجنوه في القلعة [5] . وقد أثارت هذه الحركة الأمير عز الدين ايبك الحلبي الكبير وأغرته بالتحرك إليهم بدعم من المماليك الصالحية ،لأنه أراد السلطنة لنفسه ولم يحلف للملك نور الدين علي ابن الملك المعز [6] لكنه لقي حتفه عندما سقط عن فرسه ، فأثار موته هلع اتباعه ،

---

(1) العبادي ، قيام دولة المماليك ، ص134-135

(2) المقريزي ، السلوك ،ج1، ق2، ص404

(3) العيني، عقد الجمان ، ص134

(4) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج1، ص47، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج6، ص376

(5)العيني، عقد الجمان ، ص143

(6)المقريزي ، السلوك ،ج1، ق2، ص405

وهربــوا إلـــى بـــلاد الشـــام وتـــبعهم المماليـــك المعزيـــة وتـــم القـــبض علـــى عـــدد كبير منهم [1] .

وقد استغلت المماليك الاشرفية هذه الأوضاع المضطربة وتحركت من أجل القضاء على المماليك المعزية ، لكن حركتهم لم يكتب لها النجاح ، فانتهت بنهب دورهم من قبل المماليك المعزية وهروبهم خارج مصر [2] وأصبح الأمير اقطاي المستعرب الصالحي اتابكا للعساكر بدلا من الأمير سنجر الحلبي كما قُبض على الوزير شرف الدين الفائزي [3] الذي لم يقبل بتولية صغار السن ورغب في تولية الملك الناصر يوسف الثاني [4] . وحل مكانه القاضي بدر الدين يوسف بن الحسن السنجاري الذي استعفى منها ، فتقلدها بعده القاضي تاج الدين بن عبد الوهاب بن خلف العلاني المعروف بابن بنت الأعز [5] .

وترتب على وفاة الملك المعز أيبك التركماني عام 655هـ/1257م أن ظهرت ثانية الصراعات بين الفرق المملوكية حول السلطنة ، وحاولت كل فرقة دعم أستاذها والحصول على الاقطاعات والامتيازات ، إلا أن الفرقة المعزية وقائدها الجديد الأمير سيف الدين قطز استطاعت التغلب على هذه الفرق ، وتنصيب أبن أستاذها السابق الملك المعز ايبك ، وهي الفرقة ذاتها التي كادت أن تودي بحياته.[6] ونتج عن هذه الصراعات المتداخلة وما تبعها من تضحيات أن يتصدر قطز الأحداث ، وامسك بزمام الأمور ، وأصبح صاحب السلطة الفعلية تاركا للملك المنصـــور علـــي شـــعائر الســـلطنة ولقبهـــا، ممـــا ترتـــب عليهـــا عـــودة الصـــدام بـــين الطرفين ، وكانت الشائعات تدور بينهما ، أن الملك المنصور علي قد تغير على نائبه الأمير سيف الدين قطز ، وأنه في صدد خلعه ، لكن تدخل الأمراء المعزية ، اسهم في تهدئة الأجواء والتعاون بينهم وانتهت بأن الملك المنصور علي (–خلع – على الأمير قطز– وطيب قلبه ..))[7]

---

(1)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج7، ص43 ، وانظر العبادي ، قيام دولة المماليك ، ص141

(2)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج7، ص43

(3) الشيخ الاسعد هبة الله بن صاعد بن شرف الدين الفائزي كان نصرانيا فاسلم استوزره الملك المعز لكن بعد وفاة الملك المعز عارض تولية ابنه فسجن ثم قتل ، انظر ، العيني ، عقد الجمان ، ص162، 163 .

(4) الأمير اقطاي المستعرب الصالحي ، توفي عام 672هـ/1273م ، للاستزادة ، ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج2، ص504–505 ، العيني ، عقد الجمان ، ص143 .

(5)المقريزي ، السلوك ،ج1، ق2، ص404–405 .

(6) الصفدي ، الوافي ، ج9، ص484، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج7، ص42 .

(7)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج7،ص43

وبهذا توطدت مكانة الأمير سيف الدين قطز في الدولة وزادت من تأثيره وسيطرته على مصر [1] .

الاجراء الثاني :-

التحرك تجاه القوى الخارجية :-

أ- التصدي لأطماع الملك المغيث عمر صاحب الكرك :-

أعقب مقتل الملك المعز ايبك التركماني ، واعتلاء أبنه الملك المنصور علي السلطنة في مصر عودة الأحقاد وشيوع تصفية الحسابات بين القوى المملوكية ، مما أدى إلى هروب بعضهم إلى الشام لينضموا إلى المماليك الذين سبقوهم إليها وتجمعوا عند الملك المغيث والي الكرك ، ومنهم الأمير بيبرس البندقداري إذ أوغروا صدر المغيث وحبذوا له فكرة الاستيلاء على مصر بمساعدتهم له لكن الأمير قطز تصدى لهم عامي 655هـ/1257م ، [2] و 656هـ/1258م وأوقع فيهم القتل ، وانتصر عليهم ، وهرب بيبرس والملك المغيث معه إلى الكرك [3] ، كما تم إلقاء القبض على بعض الأمراء الذين كاتبوا الملك المغيث عمر ، وضربت أعناقهم في السادس والعشرين في ربيع الأول 656هـ/1258م، بعد مصادرة أموالهم [4]

د-موقف قطز من التقارب بين الملك الناصر يوسف الثاني وهولاكو

أعقب احتلال المغول لبغداد 656هـ/1258م وإسقاطهم الخلافة العباسية وما خلفوه من قتل وتدمير وتخريب ، أن سارع الملك الناصر يوسف بإرسال أبنه الملك العزيز محمد إلى هولاكو في شعبان 656هـ/1258م ، حاملا الهدايا والتحف ومقدما الولاء له ، وطلب منه المساعدة العسكرية من أجل استعادة مصر من المماليك [5] ، مما دفع هولاكو لإعداد حملة تعدادها عشرين ألف فارس لذلك [6]

لكن وصول أخبار هذا التحرك إلى مصر ، دفعت الأمير سيف الدين قطز إلى إرسال رسالة إلى الملك الناصر يوسف الثاني يتودد فيها إليه ويقسم له أن لا ينازعه في الملك ولا يقاومه في ذلك "وانه نائب عنه بديار مصر ومتى حل بها أقعده على الكرسي....وان اخترتني

---

(1) المصدر نفسه ، ج7 ، ص43 .

(2) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص25، العيني ، عقد الجمان ، ص157 .

(3)المقريزي ، السلوك ،ج1، ق2، ص411 .

(4) بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة ، ص33، المقريزي ، السلوك ، ج1، ق2، ص409-411

(5) المقريزي ، السلوك ،ج1، ق2، ص411

(6)ابن العبري ، غريغورس الملطي ، تاريخ الزمان ، نقله إلى العربية الاب اسحق الرملة ،(بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، 1386هـ)، ص314، المقريزي ، السلوك ،ج1، ق2، ص411

خدمتك ، وان اخترت قدمت ومن معي من العسكر نجدة لك على القادم عليه ، فأن كنت لا تأمن حضوري سيرت إليك العساكر صحبة من تختاره ..."[1]

وكانت غاية هذه الرسالة تمرير مخطط وقتي للأمير سيف الدين قطز لأجل إفشال التحالف بين الأيوبيين والمغول ضد المماليك في مصر ، وهي دبلوماسية ثلاثية الأبعاد للأمير قطز بين الأطراف الثلاثة ، المغول والمماليك والأيوبيين حتى لو أدى إلى تنازله عن عرش السلطنة للملك الناصر يوسف الثاني ، وتسلم الأخير للقيادة ضد المغول ، والعمل على توحيد القوى الإسلامية ، وتشكيل جبهة لتقف أمام الزحف المغولي ، لكن هذا الموقف سرعان ما تغير بعد أن اطلع المماليك في مصر على رد رسالة المغول إلى الملك الناصر يوسف الثاني جاءت بما تمثله العنجهية المغولية وبما لا يتوقعه ، عندما بدأ هولاكو يطالب الملك الناصر يوسف الثاني بالقدوم إليه وتقديم الطاعة له كما ورد في رسالة هولاكو إليه ((..فسارعوا إلينا برد الجواب...قبل يأتيكم العذاب بغتة وأنتم تعلمون...))[2] ، وأعاد الملك العزيز إلى أبيه الملك الناصر يوسف الثاني ومعه رسالة يقول فيها هولاكو ((نحن طلبنا أباك وحيث لم يحضر نسير إليه...)) وإذا وقعت على كتابي هذا فسارع إلى برجالك وأموالك وفرسانك إلى طاعة سلطان الأرض شاهنشاه روي زمين (أي ملك الملوك) على وجه الأرض تأمن شره وتنل خيره..)) [3]

ويبدو أن رد هولاكو الشديد إلى الملك الناصر يوسف الثاني أثار مخاوف الأخير وارتيابه من نوايا هولاكو ، في حين كانت رسالة الأمير قطز تمثل التبعية والولاء له ، كما تعطيه قدرا من مجال التحرك لقيادة تحالف إسلامي يقف في وجه المغول ، والمرجح أن الملك الناصر يوسف لم يكن مستعدا للذهاب أبعد من ذلك ، وان ارتبط بعهد وثيق مع المغول ، في الوقت الذي تعرض فيه لاستنكار شديد من المسلمين بسبب تقربه من هولاكو ، لذا اظهر العداء للمغول ورد عليه بعنف وقذف وسباب [4]

---

(1) المقريزي ، السلوك ج1، ق2، ص410-411

(2)أبن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ،ج8، ص35، المقريزي ، السلوك ج1، ق2، ص418

(3) الحوادث الجامعة ، ص339، ابن ابي الصيبعة ، موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم ، عيون الانباء في طبقة الاطباء ، تحقيق نزار رضا ، (بيروت ، دار مكتبة الحياة ، 1965) ،ص669

(4) مجهول ، الحوادث الجامعة ، ص339، أبن ايبك الدواداري ، كنز الدر ،ج8، ص35، المقريزي ، السلوك ج1، ق2، ص415، يذكر أبن أبي الفضائل أن الملك الناصر يوسف الثاني اراد من تحركه هذا أن يكون بعيدا عن القوى المغولية ، ففي حين اعلن تبعيته للمغول عندما ارسل اخاه الملك الظاهر إلى قراقوم (ينظر التمهيد) من جهة ، ومن جهة أخرى ، فضل الابتعاد عن دائرة الصراع عندما لم يرسل عساكره إلى هولاكو عند حصاره لبغداد ، كما لم يذهب إلى هولاكو شخصيا ، ليجنبه عتاب أمراء دولته ، لمزيد من المعلومات

أمام هذه التحركات السياسية والعسكرية التي كانت المنطقة تعيشها والارتباك الذي حصل بعد احتلال المغول لبغداد ، وإصرارهم على المسير إلى بلاد الشام ، ووصول رد هولاكو إلى الملك الناصر يوسف الثاني ، وخروج الكثير من اهل الشام مع اموالهم وعوائلهم إلى مصر [1] . ارسل الملك الناصر يوسف الثاني الصاحب كمال الدين عمر بن العديم (المؤرخ والفقيه) إلى مصر لطلب النجدة من مصر [2] ، ولتحشيد الطاقات من اجل التصدي للمغول .

ينظر ، المفضل بن أبي الفضائل ، النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ أبن العميد ،(باريس-1928) ، ج3 ، ص375-376

(1) العبادي ، قيام دولة المماليك ،ص151

(2) النويري ، نهاية الارب ،ج29، ص384، المقريزي ، السلوك،ج1،ق2،ص416

ثالثا :استقبال وفد الملك الناصر يوسف الثاني وصعود قطز إلى قمة السلطة

الخطوات التي اتبعها قطز لخلع المنصور علي:-

بعد توطيد الأمور الداخلية في مصر واستيعاب حركات المعارضة في الخارج ، التي قادها الأمير سيف الدين قطز بوصفه نائبا للسلطان في مصر، زادت شعبيته ، وكثر اتباعه ، وأصبح صاحب السلطة الفعلية تاركا للملك المنصور علي أعراف السلطنة الاسمية ولقبها فاستغل الأمير سيف الدين قطز وصول أبن العديم رسول الملك الناصر يوسف الثاني إلى القاهرة ، وعقد مجلسا في القلعة ، حضره الملك المنصور علي ، كما حضره كبار رجال الدين من فقهاء وقضاة منهم بدر الدين السنجاري والشيخ عز الدين بن عبد السلام ، واستشارهم في جمع الأموال من الناس لإنفاقها على الجنود ، ويبدو مما دار في الاجتماع أنهم لقوا معارضة من الشيخ عز الدين ابن عبد السلام ، الذي تحدث قائلا :

((اذا لم يبق شيء في بيت المال وأنفقتم الحوائص [قطع ذهب توزع على الأمراء] الذهب ونحوها من الزينة وساويتم العامة في الملابس سوى آلات الحرب ، ولم يبق للجندي إلا فرسه التي اركبها ساغ أخذ شيء من أموال الناس في دفع الأعداء الا انه اذا داهم العدو وجب على الناس كافة دفعه باموالهم وانفسهم ، وانفضوا)) .

وانفض المجلس ولم يتكلم السلطان بأي كلمة في المجلس وذلك لعدم معرفته بأمور السياسة لصغر سنه [1] ويبدو انه لقي معارضة في جباية الضرائب من جانب القضاة ورجال الدين اذ اشترطوا عليه اولا استعمال ما عنده وعند حريمه من الحلي بالاضافة ما عند الامراء وضربها نقدا وتوزيعها على افراد الجيش فان لم تكفي جاز له ان يفرض ضرائب جديدة على الرعية وان يقترب من اموال التجار ليستعين بها على قتال العدو وقد امتثل قطز لراي رجال الدين ولم يشرع في جمع الاموال من الرعية الا بعد ان استعمل هو والامراء ما عندهم من الحلي والاموال وقد احضرها بين يدي الشيخ عز الدين بن عبد السلام .

ويبدو أن الأمير سيف الدين قطز كان متعمدا إحضار الملك المنصور أمام اجتماع كبير حضره الأمراء والفقهاء ورجال الدولة ، ومن ثم بدأ يتحدث عن مساؤى الملك المنصور علي وقال ((لابد من سلطان قاهر يقاتل هذا العدو والملك المنصور صبي صغير لا يعرف تدبير المملكة ، ..وقد كثرت مفاسد الملك ، واستهتر في اللعب ، وتحكمت أمه فاضطربت

---

(1) المقريزي ، السلوك ج1، ق2، ص416-417 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7،ص72-73، ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ص305

الأمور..))[1] . وفي حقيقة الأمر فأن ما ذكره قطز كان عين الواقع ، فقد روى أن الملك المنصور علي كان يركب الحمير ويلعب بالحمام مع الخدم [2] .

كما كان رأي الأمراء الكبار واعيان العسكر أنه لا غنى للمسلمين من ملك ((يقوم بدفعه وينتدب لمنعه ، ويذب عن حوزة الدين وذلك لما تحققوا قصد هلاوون [هولاكو] الديار الشامية ...))[3] "كما لهج الناس بخلع المنصور والمطالبة بسلطنة قطز"[4] فضلا عن زوال خطر المماليك البحرية مؤقتا في بلاد الشام عندما طاردهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف الثاني حتى حصن الكرك ، فأرسل الملك المغيث رسله إلى الملك الناصر ومعهم عمته أبنة الملك المفضل قطب الدين بن العادل، وتم الصلح على أساس أن يقبض الملك المغيث على من عنده من المماليك البحرية وان يسلمهم إلى الملك الناصر يوسف وتم ذلك ما عدا بيبرس الذي دخل في خدمة الملك الناصر كما ذكرنا سابقا هذه الأخبار كان لها أعظم الأثر في مصر وعلى الأمير سيف الدين قطز ، فقد ((زينت مصر لذلك أياما ، وصفا الوقت للأمير قطز [5])) وبعد الاستقرار النسبي الذي شهدته مصر خلال تلك الحقبة الزمنية وباتت الظروف الداخلية والخارجية مهيأة لتقبل خلع الملك المنصور علي استغل الأمير سيف الدين قطز خروج الأمراء للصيد ، ومنهم الأمير علم الدين سنجر الغتمي والأمير سيف الدين بهادر وغيرهم من أمراء المماليك المعزية لرمي البندق في الرابع عشر من ذي العقدة 657هـ/1259م ، فقبض على الملك المنصور علي وعلى أخيه قاقان وأمهما ، واعتقلهم في برج القلعة ، وكانت مدة ملكه سنتين وثمانية أشهر وثلاثة أيام [6] .

أ-قطز سلطانا لمصر :-

بعد اتفاق الأمراء على تولية الأمير قطز للسلطنة بوصفه كبير البيت ونائب الملك وزعيم الجيش ، وهو معروف بالشجاعة والفروسية رضى به الأمراء الكبار ، فأجلسوه على سرير الملك ولقبوه الملك المظفر يوم السبت الرابع والعشرين من ذي القعدة عام

---

(1) بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة ص46، بن ايبك الدوداري ، كنز الدرر ، ج8،ص39، العيني، عقد الجمان ،ص220 المقريزي،السلوك،ج1،ق2،ص417

(2)بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة ص46، العيني، عقد الجمان ،ص220

(3) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ج7،ص73

(4) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7، ص53-54

(5)سنجر الغتمي وسيف الدين بهادر من امراء مماليك الملك المعز ، ينظر العيني ، عقد الجمان ، ص143

(6) بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة ، 46، العيني، ، عقد الجمان ، 220-221 المقريزي ، السلوك ، ج1،ق2،ص417 .

657هـ/1259م، إذ جلس على سرير الملك في قلعة الجبل [1] وعلى الرغم مما قام به الملك المظفر قطز من احتياطات لاستيعاب أي معارضة تحدث ، إلا أن بعض أمراء المماليك المعزية قاموا بمعارضة خلع الملك المنصور علي ، إذ قدموا إلى قلعة الجبل وأنكروا على الملك المظفر قطز ما قام به ، ويبدو أن المعارضة كانت شديدة ويفصح عنها المقريزي بالقول (..خافهم واعتذر إليهم بحركة التتار إلى جهة الشام ومصر والتخوف مع هذا من الملك الناصر صاحب دمشق [وقال] : وأني ما قصدت إلا أن نجتمع على قتال التتر ، ولا يأتي ذلك بغير ملك ، فإذا خرجنا وكسرنا هذا العدو فالأمر لكم ، أقيموا في السلطنة من شئتم ، فتفرقوا عنه واخذ يرضيهم حتى تمكن..)[2] .

نستنتج من هذا النص أن المعارضة كانت من القوة بحيث دفعت الملك المظفر قطز أن يخافهم ويعتذر منهم ، وحتى التنازل لهم عن السلطنة بعد درء خطر المغول .

فضلا عن وعده لهم بأن يقيموا في السلطنة من يريدون ، وكانت هذه مناورة لأجل امتصاص نقمة الأمراء من جهة وكسب الوقت حتى يثبت إقدامه في السلطنة ومن ثم يقوى مركزه وينفرد باتخاذ القرار كما سنرى لاحقا .

ب- توطيد دعائم حكم الملك المظفر قطز :-

بدأ الملك المظفر قطز بتوطيد سلطانه في الداخل بعدة إجراءات :-

1-عزل الوزير أبن بنت الأعز وعين بدلا منه زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن يزيد بن الزبير [3] .

2- أبقى على الأمير فارس الدين اقطاي الصغير الصالحي المعروف بالمستعرب اتابكا للعساكر ، كما فوض إليه والى الصاحب زين الدين تدبير العساكر واستخدام الأخبار وسائر أمور الدولة والاستعداد للجهاد .

3- أرسل الملك المنصور وأخاه وأمه إلى دمياط واعتقلهم في برج بناه هناك واطلق عليه اسم برج السلسلة [4] .

(1) العيني ، عقد الجمان ، ص220

(2) هو علي بن محمد بن سليم ، صاحب بهاء الدين ابن حنا المتوفي عام 677هـ/1278م ، العيني عقد الجمان ، ص288 ، المقريزي ، السلوك ، ج1،ق2،ص417-418 ، لم تذكر المصادر سبب العزل وقد يبدو انه تغيير أي سلطان تكون هناك تغيرات في الوزارة وغيرها من المناصب الاخرى .

(3) نفس المصدر ، ج1، ق2، ص418

(4) نفس المصدر ،ج1،ق2،ص417-418،

4- قبض على الأمير علم الدين سنجر الغتمي ، والأمير عز الدين ايدمر النجيبي الصغير وكذلك شرف الدين قيران المعزي ، وسيف الدين بهادر وشمس الدين الدود خال الملك المنصور علي بن المعز وغيرهم [1] .

5- وعد قطز الملك الناصر يوسف الثاني بتقديم العون والنجدة له ضد المغول ، في أقرب وقت ، وأعاد رسوله أبن العديم ، وسير معه قاضي القضاة [2] برهان الدين الخضر [3] حاملا جواب الملك المظفر قطز إلى الملك الناصر يوسف [4] .

---

(1)المقريزي ، السلوك ،ج1،ق2،ص417-418،

(2) تم اعتقالهم في البرج بعدها تم نفيهم إلى القسطنطينية في عهد الملك الظاهر بيبرس (ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج8،ص39، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ،ج7،ص55)

(3) هو برهان الدين السنجاري ابو محمد الخضر بن الحسن قاضي القضاة ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ،ج7،ص73

(4) المقريزي ، السلوك ج1،ق2،ص418



الغزو المغولي وموقف الايوبيين والمماليك تجاه الغزو:-

اولا : موقف الايوبيين من الغزو المغولي لبلاد الشام .

ثانيا : موقف المماليك من الغزو المغولي لبلاد الشام .

أ. تحجيم الغزو المغولي .

ب. حجم الجيش المصري (الاسلامي) .

ج. حجم الجيش المغولي .

د. تحشيد الامكانات والاستحضارات التعبوية من اجل المعركة .

هـ. تحييد الامارات الصليبية .

و. التحشد المغولي واهم الاجراءات المتخذة في بلاد الشام .

اولاً : موقف الايوبيين من الغزو المغولي لبلاد الشام :

خلال العقد الاول من تاسيس الدولة المملوكية (648-658/ 1250- 1260 م) اتسمت العلاقة بين المماليك والايوبين في مصر وبلاد الشام [1] بالعدائية والتأمر ، لكن احتلال المغول لبغداد وسقوط الخلافة العباسية (656هـ / 1258م) وتهديدهم لبلاد الشام بعد وصول طلائعهم الى نهر الفرات [2] ، ووصول رسالة هولاكو الى الملك الناصر يوسف الثاني [3] ، ومن بعده الى المماليك [4] ، تلك الاحداث جعلت الطرفين ينسون خلافاتهم ويوحدون صفوفهم لمواجهة الخطر الذي بات يهدد وجودهم ، فبدءوا بتحشيد قواهم لردع الخطر الجديد ، فقام الملك الناصر يوسف الثاني بعقد اجتماع لكبار دولته واستشارهم حول الاجراءات الواجب اتخاذها لمعالجة الموقف الجديد المتمثل بالغزو المغولي ، فاجتمعت اراؤهم على القتال ، فخيموا على برزة [5] في ظاهر دمشق [6] . وكان هولاكو قد بدا تحركاته منذ بداية عام 657هـ/ 1259 م ، لاحتلال شمال غربي بلاد

---

(1) كانت بلاد الشام خلال تلك الحقبة الزمنية تحت سيادة ثلاثة قوى هم المسلمون الذين يمثلهم الملوك والامراء الايوبيين في مدن ميافا رقين ، وحصن كيفا والكرك وحلب وحمص وحماة ودمشق ، قوى متفرقة ، اما القوة الثانية فهم الصليبيون الذين وجدوا في انطاكية وعكا وطرابلس ويافا وارسوف وقيسارية وغيرها من مدن الساحل ، اما القوة الثالثة فهم الارمن في ارمينيا الصغرى في مدينة قيليقيا ، وكان ملك ارمينيا هيثوم وصهره امير انطاكية بوهيمند السادس ، قد حالفوا المغول ، وشجعوهم للقدوم والقضاء على الخلافة العباسية واحتلال بلاد الشام وساهموا في ذلك بعساكرهم لدعم المغول ، عاشور ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص 1128-1133 ، خير المر ، الفرنجية بين المغول والمماليك ، ندوة بلاد الشام في فترة الصراع الاسلامي الفرنجي (491-690هـ) جامعة اليرموك ، (الاردن 1420 هـ) ، ص5-8 .

(2) حاول الملك الكامل التصدي للمغول ، وحشد القوى الايوبية في بلاد الشام ، لكن الملك الناصر يوسف الثاني ، رفض عرضه ، وجعله يتصدى للمغول وحيداً ، ليقتل على يدهم ، كداوي ، المغول، ص60 فما بعدها .

(3) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص 277-278 ، مجهول الحوادث الجامعة ، ص339 .

(4) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص419 .

(5) برزة : هي قرية من غوطة دمشق ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م1 ، ص 382

(6) ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص170 ، اليونيني ، ذيل مراة الزمان ج2 ، ص237 ، النويري ، نهاية الارب ، ج29 ، ص384

الشام [1] بعد ان انضمت اليه قوات الملك هيثوم ملك ارمينيا والامير بوهيمند السادس امير انطاكية ، حيث اقام اربعة جسور على نهر الفرات احدها عند ملطية [2] والثاني عند البيرة [3] والثالث عند قلعة الروم [4] والرابع في قرقيسياء [5] ، وعبرت القوات المغولية نهر الفرات الى بلاد الشام من تلك المعابر [6] ، فاحتلت نصيبين وحران والرها والبيرة وحارم ، وحاصرت ميافارقين ، ثم اتجهت نحو حلب بعد ان ابقت قسما من القوات لمحاصرة ميافارقين [7] .

نتيجة لتلك الانتصارات المغولية السريعة والحاسمة ادرك الملك الناصر يوسف خطورة المغول بعد عبور نهر الفرات فقرر ان يطلب النجدة والمساعدة من الملك المظفر قطز في مصر والملك المغيث عمر صاحب الكرك [8] . وخلال ذلك ((اجتمع معه ما يناهز المائة الف مابين عرب وعجم))[9] الا ان التردد والخوف سيطرا على الملك ناصر يوسف بعد تحرك بعض الامراء الخونة لاضعاف الهمم وبث روح التفرقة والياس بينهم ، كما اشار الى ذلك ابن العميد

---

(1) لمزيد من التفاصيل حول التحرك المغولي لاحتلال بلاد الشام ، انظر ، ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص170-171 ، فياض ، عبد القادر الغزو المغولي واثره على العرب ، مجلة المعرفة (العدد ، 389) (دمشق – 1996) ، ص53 فما بعدها .

(2) ملطية ، بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم بلاد الشام وحاليا تقع في تركيا ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م5 ، ص192

(3) البيره : بلدة قرب سيمساط بين حلب والثغور الرومية وفيها قلعة عظيمة وتعد من الثغور الاسلامية المهمة ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م1 ، ص525

(4) قلعة الروم : قلعة حصينة تقع غربي الفرات مقابل البيره ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص390

(5) قرقيسياء : بلدة على نهر الخابور ، عندها مصب الخابور في الفرات مقابل البيرة قرب رحبة مالك بن طوق حيث اطلق عليها المسلمين بعد تحريرها عام 691هـ باسم قلعة المسلمين ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م3 ، ص328

(6) ابن العبري ، تاريخ الزمان ص315 ، وانظر عاشور ، العلاقات السياسية ، ص41 .

(7) ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص314-315 ، الهمذاني جامع التواريخ ، مج2 ، ج1 ، ص316-326.

(8) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص419 .

(9) المقريزي ، السلوك ، ح1، ق2 ، ص423 ؛ الصياد ، المغول ، ح1 ، ص589 .

[1] ، من حديث للزين الحافظي [2] بقوله (.. كل من يقول انه يلتقي هولاوون يتحدث وما يعرف ما يقول ومن هو الذي يلتقي هولاوون ومعه مائتا الف فارس ، والزين الحافظي يذكر عساكر التتر وكثرتهم وممارستها للحروب ويصف عظمة هولاوون وسطوته وجبروته وشدة باسه واستيلائه على الممالك وقتله الملوك وما في قلوب الناس منه ... فضعفت نفس الملك الناصر ونفوس الامراء عن لقائه وقتاله) [3] امام تحركات الزين الحافظي واصحابه المشبوهة ، تحرك الامير بيبرس البندقداري للتصدي لتلك المحاولات ، عندما ضرب الزين الحافظي وشتمه قائلا له : (انتم سبب هلاك المسلمين) [4] طالبا من الملك الناصر يوسف الثاني ان يسيره بحملة تعدادها اربعة الاف فارس ليمنع عبور المغول لنهر الفرات الى الشام ، لكن عم الملك الناصر يوسف الثاني الملك الصالح اسماعيل صاحب حمص [5] وقف حائلا دون ذلك ، مما اثار عليه جماعة من امراء مماليكه فاتفقوا على ان يهجموا عليه وهو في البستان فيقتلوه ، ويقتلوا الامراء الاكراد ويملكوا اخاه عليهم [6] ، (وقالوا ان امراء الاكراد قد قرروا في نفس السلطان ونفوسهم انهم لايلتقوا هولاوون ولا يقاتلونه وان تركوهم راحت البلاد واستولت عليها التتار ..) [7] . لكن الملك ناصر يوسف الثاني واخاه هربا الى قلعة دمشق فباءت محاولاتهم بالفشل وفي الصباح استطاع الملك ناصر يوسف الثاني

---

(1)ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص170 ، عمل على ذلك بعض الامراء منهم زين الدين سليمان بن المؤيد علي بن عامر العقربائي المعروف بالحافظي ، المولى ، سالم يونس محمد ، زين الدين العقربائي ودوره التامري لمصلحة المغول ضد الايوبيين في بلاد الشام (592هـ-662هـ)، مجلة التربية والعلم ، كلية التربية جامعة الموصل العدد الخامس والعشرون ، ص111-120 .

(2) يذكر ابن العبري ان عساكر هولاكو بلغت اربعمائة الف ، ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص 315 ، وهذا رقم مبالغ فيه كما يبدو من ابن العبري لعدم توفر امكانيات اقتصادية لتمويل جيش كهذا .

(3) ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص170 .

(4) المقريزي ، السلوك، ج1، ق2 ،ص419 .

(5) هو الملك الصالح نور الدين اسماعيل بن الملك المجاهد اسد الدين شيركوه بن محمد بن اسد الدين شيركوه صاحب حمص ، كان في الظاهر مع الملك الناصر يوسف وفي الباطن مع المغول ، للاستزادة ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص100 ، حاشية 10 .

(6) ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص170 ، المقريزي ، السلوك ، ح1 ، ق2 ، ص 419 ؛ العيني ، عقد الجمان ، ص234 .

(7) ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص 170 .

تدارك الموقف ، وعاد الى المخيم بطلب من مماليكة القيمرية [1] . استغل الزين الحافظي هذا التفكك في الجبهة الداخلية ، وبخاصة بعد ان تخلى الامراء عن الملك ناصر يوسف الثاني ومنهم الامير بيبرس البندقداري الذي توجه مع بعض المماليك الى غزة[2] ، وتفرق جيشه فحاول اغـــراءه بالاستســـلام او الهـــرب وهـــذا مـــا يشـــير اليـــه اليـــونيني بقولـــه (قرر – أي الزين الحافظي مع الملك الناصر ان هولاكو قال له ان وصل الملك الصالح – أي الناصر يوسف –الي ابقيت عليه بلاده وان تعذر وصوله خوفا من عسكره فليهرب بين يدي الى ان يتفرق عسكره ، ويعود فاني ابقي عليه بلاده) [3] .

امام هذه التحركات المشبوهة للزين الحافظي واتباعه المؤيدين للمغول ، فقد الملك الناصر يوسف الامل في مواجهة المغول ، وبدأت تساقط المدن الشامية الواحدة تلو الاخرى ، ففي صفر عام (658هـ/1260م) احتل هولاكو حلب بعد سبعة ايام من الهول والتخريب وسفك الـــدماء حتـــى امـــتلات الطـــرق بـــالاف الجثـــث والاف الاســـرى مـــن الرجـــال والنســـاء والاطفال وكان الذي فتح باب حلب للمغول صهر زين الحافظي[4] .

ولما تقدم المغول باتجاه دمشق كان المدافعون عنها قد هجروها ، كما ان الملك الناصر يوسف تركها بيد الزين الحافظي الذي اقنع اهالي دمشق بالاستسلام وان لا جدوى من المقاومة ، فدخلها المغول ليلة الاثنين السابع عشر من صفر (658هـ/1260م) ، وهم يحملون فرمانا من هولاكو بتامين المدينة واهلها وما حولها . على الرغم من مقاومة قلعتها الحصينة ، التي سرعان

---

(1)عند الصباح دخل عليه امراء المماليك القيمرية وغيرهم من الامراء واكابر الدولة ، واشاروا عليه الخروج الى المخيم بظاهر البرزه وان يكتم امر المؤامرة ، ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص170–171 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص10 .

(2) المقريزي ، السلوك،ج1،ق2،ص419 ، العيني ، عقد الجمان ، ص232–235 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص10 .

(3) تصدى الملك تورانشاه بن صلاح الدين الايوبي نائب الملك الناصر يوسف الثاني في حلب للمغول رافضا الاستسلام ، ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج3 ، ص 210 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ح13 ، ص218 ، حيث سقطت حلب في (ربيع الاول 658هـ/1260م) ، لتلاقي الدمار والخراب ، ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص315–316.

(4) تاريخ الزمان ، 315–316 ؛ قيطار ، محمد عدنان ، الهجمات المغولية على الشرق العربي ، مجلة التراث العربي ، العدد–62 ،دمشق ،1996 ،ص131–147

ما انهارت وسلمت للمغول [1] كما سلم اهل حماة مفاتيح المدينه الى هولاكو وطلبوا منه الامان [2] .

وما ان وصلت اخبار احتلال المغول لمدينة حلب حتى ثار رعب الملك الناصر يوسف الثاني فزع امراءه واتفق رايهم على ان يسيروا مع اموالهم وعوائلهم الى مصر ، وبدات عساكره تتفرق [3] ، حتى لم يبق معه الا قلائل [4] ، وحين وصل الى غزة ، في انتظار وصول نجدة الملك المظفر قطز [5] ، وعند بلدة قطيا ارسل الملك الناصر يوسف الثاني زوجته وولده واخوانه الى القاهرة ، كما ارسل القاضي برهان الدين بن الخضر رسولا الى الملك المظفر قطز للاسراع بارسال النجدة [6] ، واثناء اقامته في قطيا انضم اليه مماليكه الذين حاولوا اغتياله عند دمشق بعد ان تم الصلح بينهم [7] وبقي هو في انتظار العساكر المصرية التي طال انتظارها ، وعندها خرج الملك المظفر قطز الى الصالحية متوهما ان هناك موامرة لاحتلال مصر ، وبدا باستدراج العساكر الشامية التي كانت مع الملك الناصر يوسف الثاني ، حتى لم يبق معه الا القليل [8] ، مما اثار شكوكه وخوفه من القاء القبض عليه من قبل الملك المظفر قطز فاتجه الى الكرك

---

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص 219 ، اغلق زين الحافظي ابواب دمشق تاركا الملك الناصر يوسف الثاني كما رفض زين الحافظي القدوم اليه وقال اليه " ما اقدر اجي اليك لاني كنت بالامس غلامك وانا اليوم غلام هولاكو وانت عدوه " ، اليونيني ذيل مرآة الزمان ، ج2 ، ص238 ؛ الكتبي ، عيون التواريخ ، ج20 ، ص300 .

(2) ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص173 .

(3) يذكر العبادي ان تفرق جيش الملك الناصر يوسف الثاني جاء بسبب تعدد عناصره واختلاف امراءه وتآمر مماليكه الناصرية عليه وخوفهم من عساكر المغول ، قيام دولة المماليك ، ص 154 . وحول تفرق عساكر الملك يوسف الثاني ، ينظر ابن العميد اخبار الايوبيين ، ص 171 .

(4) ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص174 ؛ العيني ، عقد الجمان ، ص232-233 .

(5) قطيا :- قرية بجوار الفرما (العريش ، تحيط بها الرمال وتقع في الطريق الى مصر من جهة الشام ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م3 ، ص378

(6)ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص174 ، العيني ، عقد الجمان ، ص232-233

(7) ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص174

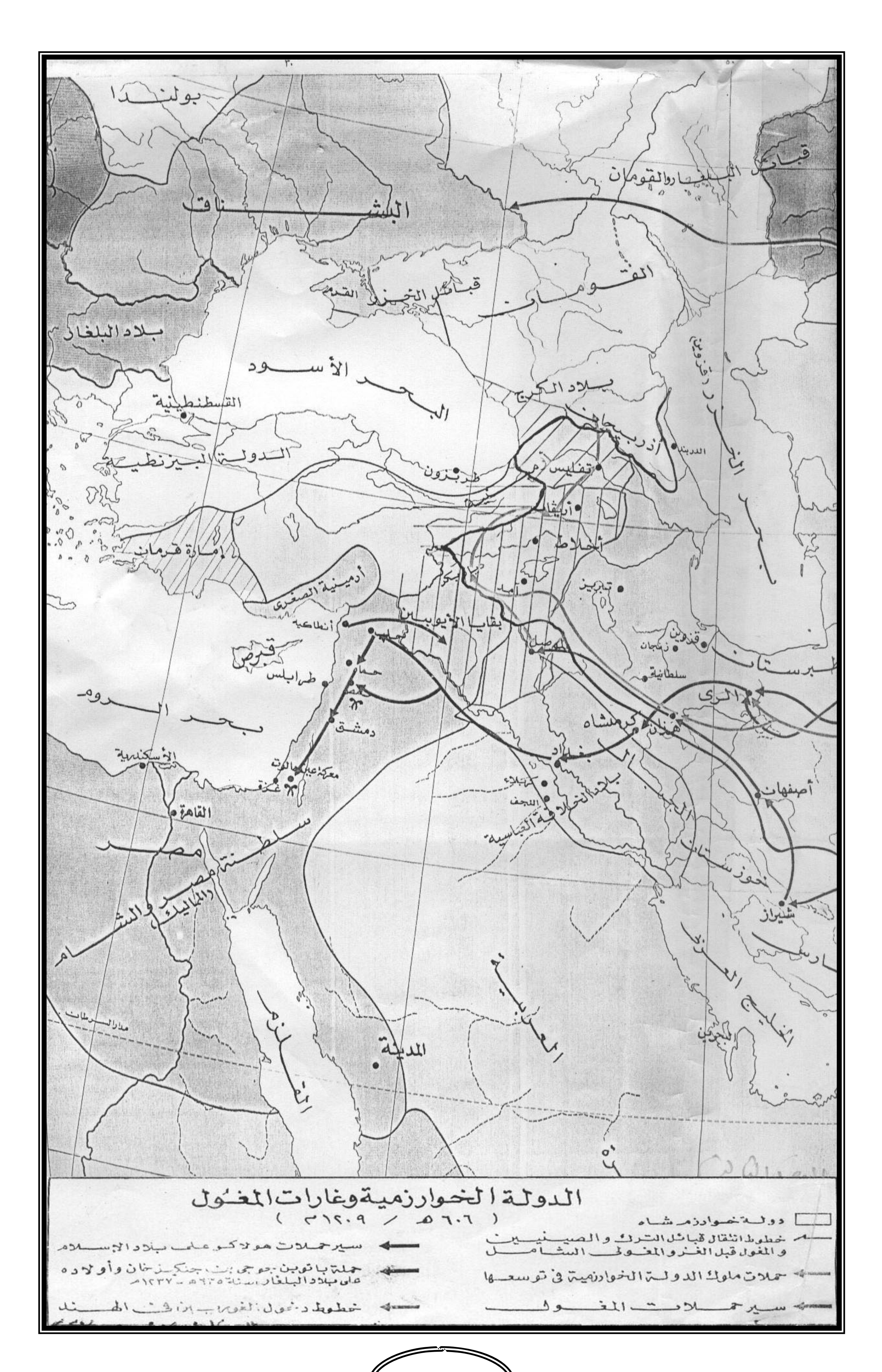
(8) لم يبقى من اتباع الملك الناصر يوسف الثاني الا ابنه واخيه الملك الظاهر غازي وقلة من اتباعه كما قام الملك المظفر قطز بمصادرة اموال زوجة الملك الناصر يوسف الثاني وسجن قسم من اتباعه ، مما اثار شكوكه ، ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص174 .

ومنها الى البلقاء [1] . حيث استطاع المغول القبض عليه بوشاية طبر دارة (حامل فاس الملك) حسين الكردي ، فارسل الى هولاكو الذي كان مقيما في حلب [2] .

---

(1) البلقاء :- كورة من اعمال دمشق تقع بين الشام ووادي القرى ، قصبتها عمان ، ياقوت الحموي معجم البلدان ، م1 ، ص489

(2) وشى به حسين الكردي الى القائد المغولي كتبغا نائب هولاكو في بلاد الشام على مكانه عند بركة زيزا . ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص175 ، العيني ، عقد الجمان ، ص234



بولندا
البشناق
القومان
قبائل الخزر القرم
بلاد البلغار
البحر الأسود
القسطنطينية
الدولة البيزنطية
بلاد الكرج
أذربيجان
تفليس
طرابزون
أرمينية الصغرى
إمارة قرمان
بقايا الأيوبيين
أنطاكية
قبرص
طرابلس
حماه
دمشق
بحر الروم
الإسكندرية
القاهرة
مصر
سلطنة مصر والشام (المماليك)
تبريز
الموصل
قزوين
زنجان
سلطانية
الري
همذان
كرمنشاه
بغداد
كربلاء
النجف
أصفهان
خوزستان
شيراز
الخليج العربي
البحرين
المدينة
طبرستان
الدولة الخوارزمية وغارات المغول
(٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م)
دولة خوارزم شاه
خطوط انتقال قبائل الترك والصينيين والمغول قبل الغزو المغولي الشامل
حملات ملوك الدولة الخوارزمية في توسعها
سير حملات المغول
سير حملات هولاكو على بلاد الإسلام
حملة باتو بن جوجي بن جنكيز خان وأولاده على بلاد البلغار سنة ٦٣٥ هـ - ١٢٣٧ م
خطوط دخول المغول إلى الهند

موقف المماليك من الغزو المغولي لبلاد الشام :-

أ- تحجيم الغزو المغولي :

توجب على الملك المظفر قطز اتباع خطوات لتحجيم الغزو المغولي ومن هذه الخطوات :-

اولاً : تامين الوضع الداخلي ومحاولة تحييد او كسب القوى السياسية في مصر والمناطق المجاورة لها .

ثانيا : استقطاب الجماعات الاسلامية المناوئة للمغول وفتح ابواب مصر لهم .

ثالثا : تحشيد الطاقات الاقتصادية في مصر وتسخيرها من اجل المعركة .

رابعا : الجانب النفسي والمعنوي المنهار في مصر وبلاد الشام.

أولاً : تامين الوضع الداخلي ومحاولة تحييد او كسب القوى السياسية في مصر والمناطق المجاورة لها :-

بدا الملك المظفر قطز باتخاذ خطوات حازمة لتامين الوضع الداخلي لاسيما ان المغول بداوا بالهجوم على بلاد الشام واحتلوا اغلب المدن مما جعله يتخذ عددا من الاجراءات منها التخلص من معارضيه المماليك المعزية (نسبة للملك المعز ايبك) الذين لازال ولائهم للملك المنصور علي منهم الامير علم الدين العتمي والامير سيف الدين بهادر وغيرهم ، والقاهم في السجن كما عمل على ارضاء العلماء والفقهاء الذين رفضوا جميع الاموال من الرعية قبل ان يكون الامير قطز اول من يتبرع بامواله ؛ ومن ثم امراء عساكره ، فاستجاب لطلبهم [(1)] .

كما قام الملك المظفر قطز بعقد مجلس لامراء عساكره بعد وصول رسالة هولاكو [(2)] ، كان الهدف من هذا الاجتماع المشاورة والاتفاق وعدم الانفراد باتخاذ القرار لخوض المعركة ، واشعار هولاء الامراء باهميتهم ودورهم في حسم المعركة ، كما عمل على ارضاء عرب مصر من البلاد الشرقية والغربية ، واجتمع بهم في الريدانية شمال القاهرة وشملهم بالعفو عنهم ، واستنفارهم عن طريق دعوة زعمائهم وجمع كلمتهم بعد ان ازاح العلل

---

(1) المقريزي ، السلوك ، ج1،ق2،ص429 ؛ العبادي ، قيام دولة المماليك ، ص160

(2) حول رسالة هولاكو ، ينظر الملحق رقم (2) .

(أي المظـالم) عـنهم [1] ووزع علـيهم الهـدايا والعطايـا [2] . هـذه الاجـراءات وحـدت الجبهـة الداخلية [3] ، كما حث الرعية على المساهمة في المعركة [4] وتحشيد القوى الداخلية واستنفارها للتصدي للمغول . واتخاذ اجراءات صارمة ضد كل من يتخلف عن الجهاد اذ " نودي في القاهرة ومصر وسائر اقاليم مصر بالخروج للجهاد في سبيل الله ونصرة لدين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقدم الملك المظفر لسائر الولاة بازعاج الاجناد في الخروج للسفر ، ومن وجد منهم قد اختفى يضرب بالمقارع " [5] .

ثانيا : استقطاب الجماعات الاسلامية المناوئة للمغول وفتح ابواب مصر لهم:

استقبل الملك المظفر الجماعات الهاربة من وجه المغول سواء كانوا مماليك حيث رحب بقدوم الامير بيبرس البندقداري وبذل له الاموال ووعده الوعود الجميلة ان عاد الى مصر فاستجاب له وانظم الى الملك المظفر قطز فانزله بدار الوزارة واحسن معاملته واقطعه قليوب [6] ومناطق الريف المجاورة لها [7] كما استقبل الملك المظفر الجماعات الهاربة من وجه المغول من العراقيين [8] او من عساكر بلاد الشام وملوكها ، فاستقبل الملك المنصور صاحب حماة والملك

---

(1) ابن اياس ، بدائع الزهور الزهور ،ج1 ، ص79 ، رؤوف ، عماد عبد السلام ، معركة عين جالوت ، (بغداد ، دار الحرية للطباعة ، 1986م)،ص37

(2) المقريزي ، الخطط ، ج3 ، ص350 ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ص83 ؛ الشرقاوي ، عبد الله ، تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين (القاهرة ، مطبعة الازهري ، 1311هـ) ، ص174 .

(3) ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج8 ، ص48 .

(4) ابـن شـاهين ، غـرس الـدين خليـل ، زبـدة كشـف الممالـك وبيـان الطـرق والمسـالك ، مطبعـة الجمهوريـة ، (باريس 1894م)، ص105-106 ؛ السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت د.ت) ج2، ص309،308،41،34 ، العريني ، المماليك ، ص98 .

(5) المقريزي ، السلوك ، ج1، ق2، ص429

(6) قليوب هي بلدة عامرة واقعة شمال القاهرة وعلى بعد خمسة عشرة كليو متر منها ، ابن تغري بردي النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص309 ، هامش 4 .

(7) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج3 ، ص450 ؛ العيني ، عقد الجمان ، ص234 .

(8) حول قدوم المهاجرين من عراقيين وعساكرهم ، المولى ، سالم يونس محمد ، العراق في السياسة المملوكية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب جامعة الموصل 1989 ، ص51-52

الصالح شيركوة صاحب حمص [1] ، كما رحب بقدوم الشهر زوريه [2] فضلا عن بقايا من العساكر الخوارزمية [3] والا كراد والتركمان [4] كما استطاع ان يضم قسما من عرب الشام ومنهم بنو نعير وهم من ال فضل وال مراء وال علي وغيرهم [5] .

رابعا :- تحشيد الطاقات الاقتصادية في مصر وتسخيرها من اجل المعركة :-

عمل الملك المظفر قطز على تسخير كل الامكانيات الاقتصادية والموارد المتاحة في مصر لصالح المعركة المحتملة مع المغول ، من حيث جمع الاموال اللازمة للانفاق على الجيش واعداده الاعداد الكامل بفرض ضرائب جديدة ومختلفة على الرعية ، على الرغم مما لقي من معارضة شديدة من جانب القضاة ورجال الدين ، الذين اشترطوا على الملك المظفر قطز استعمال ما عنده من اموال وحلي ومن ثم امرائه ، وضربها نقدا وتوزيعها على افراد الجيش [6] ، فان لم تقم بكفايتهم جاز له ان يفرض ضرائب جديدة على الرعية ويقترض من اموال التجار لاستخدامها لقتال العدو[7] ، وقد امتثل لذلك الملك المظفر قطز وامراءه واحظروا ما عندهم من حلي واموال بين يدي الشيخ عز الدين بن عبد السلام [8] ، ثم بعد ذلك فرضت ضرائب جديدة كما اوردها ابن اياس بقوله " ثم انه اخذ في اسباب جمع الاموال ، فاخذ من اهل مصر والقاهرة على كل راس من الناس من ذكر وانثى دينار واحد واخذ من اجرة الاملاك والاوقاف شهرا واحدا

---

(1) العيني ، عقد الجمان ، ص233 ؛ ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج3 ، ص211

(2) النويري ، نهاية الارب ، ج29 ، ص383 .

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج13 ، ص220 ؛ محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي (القاهرة ، 1384هـ) ، ج2 ، ص271 .

(4) ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص105 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ح5 ، ص819 ، سليم ، محمود رزق ، عصر سلاطين المماليك ، ج2 ، ص271

(5)ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص105 ، محمود السيد ، تاريخ عرب الشام ، ص107 ، 138

(6)السبكي ، تاج الدين ، ابو نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافي ، طبقات الشافعية الكبرى (القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، 1970-1971)،ج8،ص215 ؛ ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص72-73

(7) السبكي ، طبقات الشافعية ، ج8، ص215 ، ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ح7 ، ص72-73

(8) ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص72-73

واخذ من اغنياء الناس والتجار زكاة اموالهم معجلا واخذ واخذ من الترك الاهلية الثلث من المال واخذ على الغيطان والسواقي اجرة شهر ...) فكان جملة ماجمعه ستمائة الف دينار [1] .

كما صادر ممتلكات من وفد الى القاهرة من اهل الشام لاسيما من حاشية الملك الناصر يوسف الثاني اذ الزم زوجته باحضار ما عندها من جواهر [2] ، كما فرض اجراءات تقشفية ابتدأت منذ توليه السلطنة في مصر (24 ذي القعدة/657هـ/1259م) للتقليل من نفقات الدولة ، وتقليص مظاهر الترف لدى الاغنياء والامراء [3] التي استمرت حتى مقتل الملك المظفر قطز في (15 ذي القعدة /658هـ/1260م) .

رابعا : الجانب النفسي والمعنوي المنهار في مصر وبلاد الشام:

للجانب النفسي في الحروب تاثير كبير على مجرى الاحداث وحسم المعارك خلال حقب التاريخ المتعاقبة ، الا ان المصادر التاريخية تناولت هذه الاحداث من خلال الجانب السياسي والعسكري دون اعطاء الجانب النفسي والمعنوي اهمية خاصة ، على الرغم من ان الحرب النفسية لها الدور الحاسم على مجريات الاحداث من خلال ما تعكسه من سلاح نفسي خطير خاصة عندما يثير الرعب في الخصم وينقض عليه من الداخل فيهزمه قبل ان تلتمع السيوف امام أعينهم ، ويذبح القدرة على الخصم من حيث الحركة والمناورة [4] ، ويجعله يستسلم قبل ان تصل اليه قوات العدو .

وهذا ما حدث اثناء القرن السابع الهجري عندما تعرضت دول الاسلام لاوقات عصيبة ، حيث دمرت جيوش المغول حواضر الاسلام في مشرقه وسفكت دماء ابنائه واتت على معالم الحضارة والمدنية فيه ، وسطر المورخ ابن الاثير المتوفي عام (630هـ/1232م) .

---

(1) ابن اياس ، بدائع الزهور ج1 ، ص96 ؛ اليونيني ، ذيل مرأة الزمان ، ج1 ، ص372 ؛ الكتبي ، عيون التواريخ ، ج20 ، ص 23 ؛ رؤوف ، عماد عبد السلام ، معركة عين جالوت ، بغداد 1986 ، ص22–23 .

(2) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص427

(3) ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص78

(4) عماد الدين خليل ، مجاهدون على الطريق ، نينوى ، مطبعة منير ، –1984 ، ص111 .

حول ما خلفه المغول من قتل وتخريب في بلاد ما وراء النهر وايران ، ينظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م1 ، ص145 ، م2، ص13،199،123،451 ، م3 ، ص117،204،225،307،377 ؛ م5 ، ص47،114،310،332 .

بدايات خروج المغول الى بلاد الاسلام فقال : (لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحالة استعظاما لها كارها لذكرها ، فانا اقدم اليه رجلا وأوخر اخرى ، فمن الذي يسهل عليه ان يكتب نعي الاسلام والمسلمين ، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك ؟

فيا ليت امي لم تلدني ، وياليتني مت من قبل حدوثها وكنت نسيا منسيا الا انني حثني جماعة من الاصدقاء على تسطيرها وانا متوقف ، ثم رايت ان اترك ذلك لا يجدي نفعا ، فنقول : هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عفت الايام والليالي على مثلها . عمت الخلائق وخصت المسلمين ، فلو قال قائل ان العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى ادم والى الان ، لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا ، فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها)[1] .

وكان ينظر الى الجيش المغولي على انه اسطورة الجيش الذي لا يقهر واصبحت الجيوش تحسب له الف حساب ، وفي قلوبها الرعب والخوف والهرب قبل اللقاء ، اذ توجه الى تركستان فاستولى على بلادها ، بعدها قصد بلاد ما وراء النهر ومنها اتجه الى بلاد خراسان وعمل باهلها السيف والخراب ، ودخل العراق فطمس حضارتها وقتل اهلها ودمر اسواقها ومدارسها ومكتباتها ، رغم ان اهلها فد اتفقوا على التسليم والبقاء على حياتهم ، لكنه نكص وعوده فاستباحها وقتل في بغداد زهاء ثمانين الفا من اهلها ، ثم اتجه الى بلاد الشام فاستولى عليها بعد ان دمر مدنها وقتل رجالها ونسائها واطفالها دون مقاومة تذكر وسيف يرفع ، فدخل ألياس والاستسلام في النفوس كما يورد ابن الاثير في قوله (لقد بلي الاسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يبتل بها احد من الامم ، فهولاء التتر قبحهم الله ، اقبلوا من المشرق ففعلوا الافعال التي يستعظمها كل من سمع بها)[2] بل يضعف (وبلغني ان امراة من التتر دخلت دار قتلت جماعة من اهلها وهم يضنونها رجلا)[3] .

بل يذكر (انه قال من حدثكم ان التتر انهزموا او اسرو فلا تصدقوه ، واذ حدثكم انهم قتلوا فصدقوا ، فان القوم لا يفرون ابدا ، وحكي عنهم حكايات يكاد سامعها يكذب بها من الخوف القى الله سبحانه وتعالى في قلوب الناس منهم ، حتى قيل ان الرجل منهم كان يدخل القرية او الدرب وبه جمع من الناس فلا يزال يقتلهم واحد بعد واحد ، فلا يتجاسر احد ان يمد يده

---

(1) ابن الاثير ، الكامل ، ج12 ، ص358 ، للاستزادة ينظر رسالة ياقوت الحموي لابن الاثير ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج5 ، ص180-188 .

(2) ابن الاثير ، الكامل ، ج12 ، ص378،360 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص145وما بعدها.

(3) المصدر نفسه ، ج12 ، ص378 .

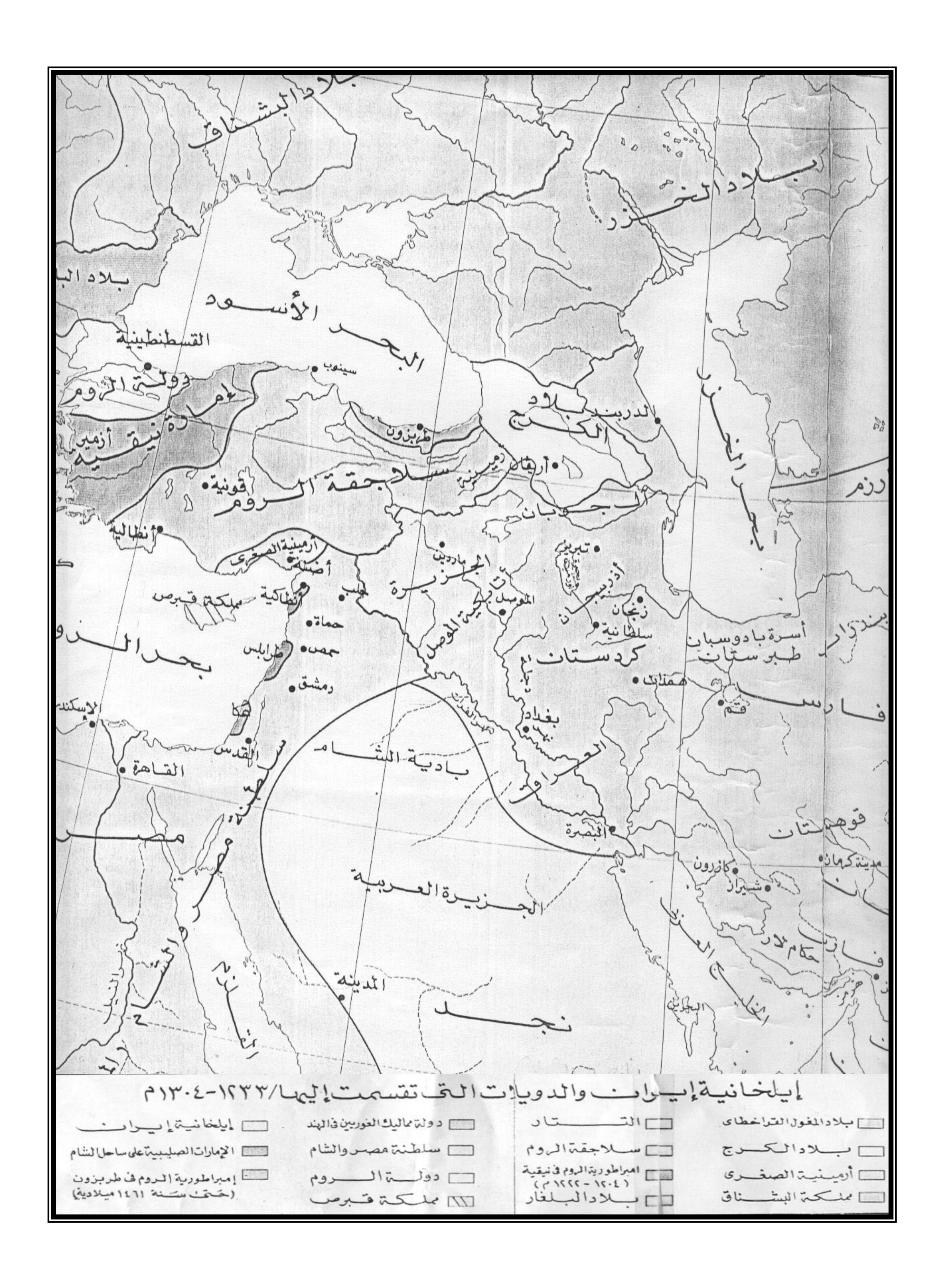
الى ذلك الفارس [1] من خلال هذا الوضع الذي عاشته الامة من حالة الياس والتردد والخوف ، قد تسرب الى نفوس الملوك والامراء ، فاصبحوا عاجزين عن اتخاذ أي قرار ، بل الهرب الى الحجاز واليمن والمغرب واما الباقون فـ(بقوا في وجل عميق وخوف شديد)[2] ، وقد انعكس هذا على معنويات الجيش المصري الذي كان يتألف من كتائب ، كل منها بامرة امير مملوكي يتولى تدبيرهم واطعامهم واسكانهم وقيادتهم ، لذا كان على الملك المظفر قطز ان يشدد من عزم اولئك الامراء وان يحصل على ولائهم وتاييدهم لخوض الحرب [3] .

---

(1) المصدر نفسه ، ح12 ، ص384-385

(2) ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ج7 ، ص78 ؛ العيني ، عقد الجمان ، ص275

(3) عماد عبد السلام رؤوف ، معركة عين جالوت ، ص21



إيلخانية إيران والدويلات التي تقسمت إليها ١٢٣٣-١٣٠٤م
بلاد المغول القراخطاى
بلاد الكرج
أرمينية الصغرى
مملكة البشناق
التتار
سلاجقة الروم
امبراطورية الروم في نيقية (١٢٠٤ - ١٢٢٢ م)
بلاد البلغار
دولة مماليك الغوريين في الهند
سلطنة مصر والشام
دولة الروم
مملكة قبرص
إيلخانية إيران
الإمارات الصليبية على ساحل الشام
إمبراطورية الروم في طربزون (حتى سنة ١٤٦١ ميلادية)
بلاد البشناق
بلاد الخزر
البحر الأسود
القسطنطينية
سينوب
دولة الروم
إمارة نيقية
طربزون
بلاد الكرج
الدربند
سلاجقة الروم
قونية
أنطالية
أرمينية الصغرى
أضنة
أنطاكية
مملكة قبرص
حلب
حماة
حمص
طرابلس
دمشق
عكا
القدس
الإسكندرية
القاهرة
مصر
الجزيرة
الموصل
تبريز
أذربيجان
زنجان
سلطانية
كردستان
همذان
قم
بغداد
العراق
بادية الشام
البصرة
كازرون
شيراز
فارس
قوهستان
أسرة بادوسبان
طبرستان
الجزيرة العربية
المدينة
نجد

ب– حجم الجيش المصري (الاسلامي):

ليس هنالك اتفاق حسابي على حجم الجيش المصري (الاسلامي) ، فيذكر ابو شامة انه كان (خلق عظيم)[1] ، في حين يحصي ابن اياس حجم الجيش المصري باربعين الف مقاتل [2] ، ويذهب باحث معاصر انه كان بحدود اربعين او خمسين الف مقاتل [3] ، ويذكر ابن تغرى بردي ان الملك الضاهر بيبرس عند استلامه السلطنه كان تعداد جيشه بحدود اربعين الف مقاتل [4] وكان هذا الجيش متكون من العنصر المملوكي وهو من الاتراك والمماليك القراصنة [5] والجلبان [6] والمماليك السلطانية واجناد الحلقة والمماليك الخاصة واجناد الامراء وابناء الامراء الذين يخدمون عند الامير في الحكم والسيفية (الذين مات ملكهم او اميرهم) والقبائل العربية في مصر الذين تجاوز عددهم باكثر من عشرين الف مقاتل [7] فضلا عن متطوعي القبائل العربية في بلاد الشام من ال فضل وعرب الحجاز وعرب هوار وغيرهم وكانوا بحدود اربعة وعشرون الف مقاتل [8] يضاف لهم بقايا عساكر بلاد الشام الذين انضموا الى الملك المظفر قطز وكانوا بحدود اربعة وعشرين الف مقاتل [9].

---

(1) الذيل على الروضتين ، ص207

(2) بدائع الزهور ، ج1 ، ص305

(3)رؤوف ، عماد عبد السلام ، معركة عين جالوت ، ص31

(4)النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص 197 .

(5)القراصنة : هم الذين دخلو في خدمة السلطان وسبقوا غيرهم من المماليك للاستزادة ، ابن شاهين الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، ص115

(6)الجلبان ، هم المماليك الذين جاؤوا الى البلاد وهم كبار السن ، للاستزادة ابن شاهين الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، 115 ؛ ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ح7 ، ص386 القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج4 ، ص16

(7) ابو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص207 ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج7 ، ص161 فما بعدها ؛ سليم ، عصر سلاطين المماليك ، ج2 ، ص249 .

(8) ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص105 ؛ القلقلشندي ، صبح الاعشى ، ج4 ، ص203 فما بعدها ، ابن خلدون ، العبر ، ج5 ، ص436 فما بعدها .

(9) ابن شاهين ، زبدة الممالك ، ص104 –105 .

فضلا عن تطوع مقاتلي القبائل العربية من ال فضل وعرب الحجاز وعرب هوار وغيرهم [1] ، علاوة على القبائل العربية في مصر ، يضاف لهم الاكراد الشهسرزوريه والتركمان[2] . اذن نستطيع ان نحدد حجم الحجيش المصري بشكله النهائي النسبي في معركة عين جالوت كان يتراوح بين السبعين والتسعين الفا .

ج- حجم الجيش المغولي :-

لقد تباينت الاراء هي الاخرى حيال حجم الجيش المغولي ، فقد ذكر النويري انها كانت ذات اعداد كثيفة [3] ، وهناك من المصادر ما ذكرت انها كان اثنا عشر الف من المقاتلة [4] ، اما ابن العبري فقد اشار الى انه كانت عشرة الاف مقاتل [5] ، في حين ذكر الهمذاني انها كانت عدة الاف ، لكن المصادر الحديثة اكدت ان حجم قوة المغول لم تكن تقل عن ثلاثين الفا من المقاتلة مستندة اولا الى ان الامير المغولي كتبغانوين [6] كان من كبار

---

(1) ابن شاهين الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، ص105 فما بعدها ؛ القلقشندي صبح ،ج4، ص203 ، فما بعدها ؛ ابن خلدون ، العبر ج5 ، ص436 فما بعدها .

(2) يذكر الهمذاني (كان اكثر جيوش مصر من التركمان والمنهزمين من جيش السلطان جلال الدين خوارزمشاه ، وكان في مقدمة امرائهم بركت خان والملك اختيار الدين والملك سيف الدين صادق خان ...والسلطان ناصر الدين واطلس خان وناصر الدين قيمري واتجهوا الى مصر وشرحوا لقطز قصة غصتهم ... ولما وصل هولاكو احضر قطز هولاء الامراء واستشارهم ،) الهمداني ، جامع التواريخ ، مج 2، ج1، ص310-311 .

(3) النويري ، نهاية الارب ، ح29 ، ص387

(4) يذكر العيني ان هولاكو كان يخطط لاحتلال مصر قبل رحيله الى فارس ، عندما سال الملك ناصر يوسف الثاني عند اسره " من بقي في ديار مصر من العسكر فقال له " لم يبقى بها إلا نفر قليل في ديار مصر من العسكر واقوام من المماليك بيننا لا نبالي لهم فقال : فكم يكفي التجريد لقتالهم ؟ فقال يكفي القليل من الجيش وحقر امرهم وهونه " العيني ، عقد الجمان ، ص236 ؛ بيبرس المنصوري ، زبدة كشف الممالك ، ص49 .

(5) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص280 ؛ الرمزي ، (القرن العشرين م.م) تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار ، المطبعة الكريمية (هانبورغ ، 1325هـ) ، ح1 ، ص419 .
Ayalon , Daved, outsider in the lands islam , london1988,pp334-339

(6)كتبغا نوين : هو صهر هولاكو من قبيلة النايمان ، وكان يعتمد عليه هولاكو كثيرا ويكتب اسمه احيانا (كتبوغا او كيتوبوقا) ، وكان نسطوري المذهب ، وكان نائبا لهولاكو في بلاد الشام بعد رحيله ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ح12 ، ص226 ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ح4 ،ص423 .

الظباط الذين يقودون تشكيلا يبلغ تعداده عشرة الاف ، كذلك فان نوين المضافة الى اسمه تعني عشرة الاف [1] ، اما عماد عبد السلام رؤوف وفايد حماد عاشور فقد ذكروا ان تعداد الجيش المغولي بحدود ثلاثين الف [2] ، لاسيما بعد اضافة الجند من الكرج والارمن [3] ، وحلفائه من البيت الايوبي الملك السعيد صاحب الصبية [4] ، وغيرهم [5] .

كما ان احداث المعركة التي حدثت في عين جالوت وما تكبده المغول من خسائر كبيرة ، نراهم يعيدون تنظيمهم من خلال فترة قصيرة ليشتبكوا عند منطقة بيسان بمعركة كانت اشد من الاولى وكادت تحقق لهم الفوز كما سياتي ، لكن ثبات الجيش المصري وصرخات قائده الملك قطز اثمرت بهزيمتهم ثانية ، مما يرجح ان اعدادهم كانت كبيرة لتدخل معركتين خلال فترة قصيرة ، كما ان هذا العدد من الجند المغول لم يكن يعتمد على عدد المقاتلين بل على الرعب الذي احدثه جيش المغول في كل مكان .

د- تحشيد الامكانات والاستحضارات التعبوية من اجل المعركة :

واجه الملك المظفر قطز صعوبة كبيرة في اقناع كثير من الامراء بوجوب التحرك السريع للتصدي للمغول ، لان بعض الامراء نكصوا على اعقابهم وابدوا تكاسلا واحجاما عن الخروج بحجة عدم جدوى مقاومة المغول وكان رايهم هو الاستسلام للامر الواقع ، مما دفع الملك المظفر قطز الى عقد مجلس الحرب :-

انعقد مجلس الحرب برئاسة الملك المظفر قطز بعد وصول رسائل التهديد والوعيد التي اطلقها هولاكو في جمادي الاخرة 658هـ/1260م ، يدعوه لاخذ العبرة والاعتراف بطاعته وحمل الفديه اليه وقبول شحنه في بلاده [6] وحضر الاجتماع اتابك عساكره الامير فارس الدين اقطاي وبمشاركة رجال الدين والقضاة ، وامراء عساكره ليعرض عليهم ، واعطى كل عضو الفرصة ليعبر

---

(1) رؤوف ، معركة عين جالوت ، ص27 ، عاشور ، فايد حماد ، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ، ص51 ؛ عويدات ، تاريخ المغول ، ص90

(2) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص77 ؛ رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ح3 ، ص536 ؛ العريني ، المغول ، ص259 .

(3) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص80؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج12 ، ص100 .

(4) للاستزادة ، ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص80 .

(5) اما الباز العريني فانه يدعي ان عدد جيش المغول كان بين عشرة الاف الى عشرين الف مقاتل ، المغول ، ص254 .

(6) المقريزي ، السلوك ، ج1،ق2 ص427-428 ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج8 ، ص64-65 .

عن رايه بصراحة ووضوح ، وتكلم الامير ناصر الدين القيمري ، الذي اظهر من خلال حديثه الانتقاص من قدرة الجيش المملوكي على مجابهة المغول لما يتمتع به الاخير من قدره قتالية كبيرة [1] ، وقد اتسم المجلس بالانقسام واختلاف الراي كالاتي :-

1- اشار بعض الامراء بحلول انهزامية ، تتمثل بالهرب من ساحة المعركة وترك مصر والاتجاه نحو المغرب [2] ، حيث هربت جماعة من المماليك الى المغرب وقسم الى اليمن والحجاز [3] .

2- اشار الاخرون برفع راية الاستسلام والقبول بالامر الواقع ، رغم علمهم ان المغول لا عهد لهم ، وهذه حالة من الياس والضعف التي وصلت اليها معنويات بعض الامراء [4] .

3- اشار قسم بالتهيؤ والاستعداد للقتال داخل مصر [5] .

4- اما الفقيه ابن عبد السلام فقد اشار للتهيؤ والاستعداد والقتال خارج ارض مصر ، ومبادرتهم قبل ان يبادرهم المغول ، اذ قال " اخرجوا وانا اضمن لكم على الله النصر " [6] ، ومباغتة العدو الذي كان مشغولا بحربه في بلاد الشام ، والتحرك نحو فلسطين وهي تعد مفتاح الدخول الى مصر ، وفلسطين بوابتها الوحيدة الى الشرق [7] ، وكان الامير بيبرس البندقداري قد اشار الى قتل الرسل وقصد وقصد كتبغا متضامنين ، فان انتصرنا او انهزمنا نكون في الحالتين معذورين [8]

وامام هذا الراي كان امام الملك المظفر قطز ان يحسم الامر ويتخذ القرار الذي يقرر فيه مصير الامة الاسلامية ، فتحدث قائلا " ان الله تعالى يقول في كتابه الكريم (حتى يعطوا الجزيه عن يد وهم صاغرون) [9] ، وان السيف الذي يجبن حامله عن القتال ، لخليق ان يطعن به .... واننا اليوم امام اختبار ثلاثة ، الصلح او القتال او الجلاء عن الوطن ... والراي هو ان

---

(1) لمزيد من التفاصيل ، خليل ، مجاهدون ، ص115-116 .
(2) الهمذاني ، جامع التواريخ ، مج2 ، ج1 ، ص312 ؛ السبكي ، طبقات الشافعية ، ج8 ، ص277 .
(3) العريني ، المغول في التاريخ ، ص255 .
(4) ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة / ح7 ، ص78 .
(5) المصدر نفسه ، ج7 ، ص78 .
(6) السبكي ، طبقات الشافعية ، ج8 ، ص215 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص220
(7) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص220 ، رؤوف ، معركة عين جالوت ،ص19
(8)الهمذاني ، جامع التواريخ ، مج2 ، ج1 ، ص312 ؛ السبكي ، طبقات الشافعية ، ج8 ،ص277
(9) سورة التوبة ، اية (29)

نستعد للقتال ..."[1] " واني ما قصدت الا ان نجتمع على قتال التتر "[2] ، وبعد انتهاء المجلس انفرد بامرائه الذين ايدوه على الحرب ، وبداء بتحليفهم من اجل دعمه ومساندته في حربه ضد المغول [3] .ثم فوض الى الصاحب زين الدين [4] بن يعقوب ، بتدبير العساكر واستخدام الاجناد وسائر امور الجهاد والاستعداد للحرب ضدهم [5] ، ولقطع الطريق امام أي تردد او انسحاب امر قطز بقتل رسل المغول وكانوا اربعة ، فتم توسيطهم [6] وتعليقهم ، احدهم بسوق الخيل تحت قلعة الجبل ووسط الاخر بظاهر باب زويلة والاخر في ظاهر باب النصر والرابع في الريدانية [7] بعد ان تمت استحضارات المعركة امر الملك المظفر قطز ان يخرج من قلعة الجبل في القاهرة وان يتم التحشد في منطقة الريدانية التي لا تبعد كثيرا عن القاهرة ، ومنها الى مدينة الصالحية [8] . حيث اكتمل توافد حشود الفرسان (الخيالة) والاجناد (المشاة) والمتطوعين من القبائل العربية وغيرها ، وأخذ بعامل الكتمان قدر المستطاع وعدم تسرب المعلومات عن هذا التحشد ، لكن وجود بعض بقايا الجيش الايوبي والخوارزمي وقوات من قبل ملك الكرك [9] الملك المغيث [10] اثر على معنويات الجيش المصري ، مما اثار صعوبة كبيرة في اقناع كثير من الامراء بوجوب التحرك السريع للتصدي للمغول ، لكن جماعة من هؤلاء الامراء نكصوا على اعقابهم وأبدوا تكاسلا واحجاما للخروج بحجة عدم جدوى مقاومة المغول ، والاستسلام للامر الواقع مما دفع الملك المظفر قطز لجمع الامراء من جديد ومصارحتهم بعزمه على السير لمواجهة المغول ، فأبدوا اعتراضهم على الخروج معه لملاقاة العدو " وتقدم الملك المظفر قطز لسائر الولاة بازعاج الاجناد للخروج للسفر ، ومن وجد منهم قد اختفى يضرب بالمقارع . وسار

---

(1) معركة عين جالوت ، ركائز الايمان ، ص1-7 .
(2) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص418
(3) نفس المصدر ، ج1 ، ق2 ، ص418 .
(4) هو يعقوب بن عبد الرفيع بن زيد ابن مالك ... بن عبد الله بن الزبير بن العوام ، ولد عام 586هـ/1190م كان اماما عادلا فاضلا ، ولاه قطز الوزارة في اول عهده ثم عزله ليولي بعد الصاحب بهاء الدين ابن حنا ، ينظر العيني ، عقد الجمان ، ص288 .
(5) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص418
(6) التوسيط هو قطع جسم الانسان من الوسط وتعليقه ، المقريزي ، السلوك ،ح1 ،ق2 ، ص429
(7) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص429
(8)المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص429 ؛ ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص79
الحلبي ، محمد بن راغب بن محمد بن هاشم الطباخ ، اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، (حلب ، المطبعة العليمة ، 1342هـ)، ح2، ص291
(9) النويري ، نهاية الارب ، ج29 ، ص383 .
(10) المصدر نفسه ، ج29 ، ص383 .

حتى نزل الصالحية ، وتكامل عنده العسكر ، فطلب الامراء وتكلم معهم في الرحيل ، فابوا كلهم عليه وامتنعوا من الرحيل ، فقال لهم : يا امراء المسلمين لكم زمان تاكلون من بيت المال ، وانتم للغزاة كارهون ، وانا متوجه فمن اختار الجهاد فليصحبني ومن لم يختار ذلك فليرجع الى بيته ، فان الله مطلع عليه ، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتاخرين فتكلم الامراء الذين تخيرهم وحلفهم في موافقته على السير ، فلم يسع البقية الا الموافقة وانفض الجمع .." [1] ، ادت هذه الخطبة الى رفع معنويات جنوده ، وفي الليل ركب الملك المظفر قطز وخطب ليثير بينهم النخوة " انا القى التتار بنفسي " فلما رأى الامراء مسير الملك وعزمه واصراره لملاقاة العدو خرجوا وهم في حالة من التردد والخوف [2] .

(1) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص429-430

(2) ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص78

المسير لملاقاة العدو :-

وضع الملك المظفر قطز خطة عسكرية محكمة تتمثل بتقدم قائده الامير بيبرس البندقداري على راس قوة استطلاعية ، لدراسة الموقف ومعرفة تحركات العدو واتجاهه ، وكشف الطرق والمسالك [1] .

في حين كانت خطة من سبقه من الملوك ، الاكتفاء بالاقامة في الحصون والدفاع عنها وانتظار عساكر المغول ، لكن تعليمات الملك المظفر قطز الى الامير بيبرس البندقداري افرزت مبادئ عسكرية مازالت حتى اليوم تعد من قواعد واساسيات الفهم العسكري فقد كتب له قائلا " ... ان الهجوم هو خير وسيلة للدفاع ضد التتار ... ابدا على الفور بدفع دوريات مسلحة بقوة لاستطلاع تحركات قوات التتار وطبيعة تشكيلاتهم للحرب وافطر على عدوك قبل ان يتغدى بك "[2] ، فارتحل الامير بيبرس البندقداري في شعبان 658هـ/تموز 1260 سالكا الطريق الصحراوي عبر صحراء سيناء لاخفاء تقدمه ، قاصدا غزة في الوقت الذي كان القائد المغولي كتبغا قد اقام حامية مغولية عند غزة بقيادة بيدرا ليكشف تحركات الجيش المصري (الاسلامي) ، لكنه فوجى بطلائع الجيش المملوكي حين ارسل الى كتبغا الذي كان بالقرب من مدينة بعلبك ينذره بقدوم القوات المملوكية ويطلب منه نجدة على وجه السرعة [3] ، لكن الامير بيبرس البندقداري اصطدم به وحرر غزة من المغول في انتظار وصول الملك المظفر قطز [4] ، وقد اعطى هذا الانتصار دافعا معنويا للجيش المصري للتقدم ، وقام الامير بيبرس البندقداري بمناوشة المغول واستدراجهم ليخفي تحركات الجيش الرئيسي الذي يقوده الملك المظفر قطز [5] ، الذي تحرك من مصر في رمضان من عام 658هـ/1260م عبر سيناء سالكا الطريق الصحراوي باتجاه غزة ، حيث قام فيها يوما واحدا ، اتجه بعدها بيبرس لمطاردة الجيش المغولي حتى نهر العاصي . اما قطز فانه اتخذ

---

(1) الهمذاني ، جامع التواريخ ، مج2 ، ج1 ، ص313 ؛ رؤوف ، معركة عين جالوت ، ص36-37

(2) معركة عين جالوت ، ركائزالايمان

(3) الهمذاني ، جامع التواريخ ، مج2 ، ج1 ، ص213

(4) الهمذاني جامع التواريخ ، مج ، ح1 ، ص313 ؛ رؤوف ، معركة عين جالوت ، ص37

(5)الاسحاقي ، محمد عبد المعطي بن ابي الفتح بن عبد الغني ، اخبار الاول فيمن تصرف في مصر من ارباب الدول ، القاهرة –1311 ، ص132 ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج2 ، ص193

الطريق الساحلي باتجاه مدينة عكا التي لاتزال تحت سيطرة الصليبيين [1] ، وسبب اتخاذ الطريق هو حرارة الجو في شهر سبتمبر ، وليؤمن تزويد جيشه بالماء [2] .

هـ - تحييد الامارات الصليبية :-

قام الملك المظفر قطز بارسال سفارة الى حكام عكا تطلب من الصليبيين اقامة تحالف معهم ، وكان موقف الامارات الصليبية في بلاد الشام في اتجاهين :

الاول : مساند للغزو المغولي من خلال الدعم العسكري والمشاركة الفعلية في الغزو ، وتمثل بالامير بوهمندا امير طرابلس وانطاكية [3] .

اما الاتجاه الثاني : فتمثل بامارة صيدا ومملكة عكا التي اتخذت جانب الحياد اول الامر حسب الاتفاق الذي عقد مع الملك الناصر يوسف الثاني عام (652هـ/1254م) [4] ، وانضمت لها مصر عام 654هـ/1256م، لوقف كل العمليات [5] العسكرية بينهم وهذه العمليات تعطلت لاسباب منها :

1- النزاع بين الجنويين والبنادقة والتي انعكست على الامارات الصليبية في بلاد الشام والتي دخلت في حروب بينها استنزفت كثير من قواها [6] .

2- تمتع هذه المملكة والامارة بالاستقلال بعيدا عن نفوذ الكنيسة [7] .

3- النزاع بين الملك الناصر يوسف الثاني والمماليك ، والتي استنزف كثيرا من مواردهم وقوتهم ، حتى تدخلت الخلافة العباسية انذاك لوقف النزاع [8] وكان موقف هذه الامارات اول الامر

---

(1) المقريزي ، السلوك ، ح1 ، ق2 ، ص430

(2) بيتر توراو ، الظاهر بيبرس ، ص84

(3) حول موقف بوهمند الصليبي الذي شارك في الغزو المغولي على بلاد الشام ، ينظر الصياد ، المغول ، ص291-292 ؛ خير المر ، الفرنجية بين المغول والمماليك مواقف وعلاقات عشية معركة عين جالوت ، ص2-5 .

(4) المقريزي ، السلوك ، ح1،ق2 ، ص430 ، ؛ العبادي ، قيام دولة المماليك ، ص160-161 .

(5)عمران ، محمود سعيد ، المغول ، ص 67-68 ؛ ابو عليان ، عزمي عبد محمود ، مسيرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك ، (بيروت ، دار النفائس ، 1415هـ) ، ص 121 فما بعدها .

(6)العبادي ، قيام دولة المماليك ، ص162؛ القزاز ، الحياة السياسية في العراق في عهد المغول ، ص424 عاشور ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص1129-1130

(7) خير المر ، الفرنجية بين المغول والمماليك ، ص2-5

(8) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة ، ص 6 .

الحذر والترقب فيما يدور في بلاد الشام ، وفي زمن اضطراب الاوضاع وتداخل الحدود بين هذه الامارات والمغول ، حدث مالم يكن متوقعا عندما هاجمت قوات صيدا الصليبية بعض كتائب المغول ، مما اثار حفيظة المغول ، وكان الرد حازما وقويا ادى الى اجتياح صيدا ونهبها والقيام بمذابح فيها [1] ، ادت هذه العمليات وما رافقها من قتل وتدمير الى ابعاد أي تقارب مع المغول ، لانهم لم يالفوا مثل هذه المواقف طوال وجودهم مع المسلمين ، لذا كانوا اكثر استعدادا وتقبلا للتعاون مع المسلمين ، مما سهل تجديد الاتفاق مع مملكة عكا ، وكان حجم الجيش المصري قد اثار نوعا من الخوف لدى الصليبيين ، مما سهل مهمة الملك المظفر قطز ، فضلا عن المكاسب التي سيجنونها من المعركة بين المماليك والمغول ان كانت مادية او معنوية [2] ، ونقصد ضعف القوتين المملوكية والمغولية وترك الساحة لهم في بلاد الشام ومصر ، كما ادرك الصليبيون في عكا أن المغول لن يسمحوا لهم باقامة امارات صليبية مستقلة وانما يريدونهم تابعين لهم مما ادى الى انتهاء التقارب المغولي الصليبي [3] ، واصبحت الفرصة مواتية للجيش المصري للوقوف امام المغول ، والانفراد بهم . بعدها اتجه الملك المظفر قطز لخوض المعركة الحاسمة .

التحشد المغولي واهم الاجراءات المتخذة في بلاد الشام :-

بدأت العمليات العسكرية لهولاكو في بلا د الشام في جزءها الشمالي مبتدا بمدن نصيببين وحران والرها والبيرة وسروج حتى وصلت الى حلب حيث حاصرها لمدة ستة ايام انهارت بعدها ومن ثم دخلتها عساكر المغول بدعم من امير انطاكية بوهمند السادس ، تبعها سقوط حران

---

(1)اقدم احد بارونات الصليبيين جوليان الصيدوني ، واستغل انهيار الايوبيين في بلاد الشام بقيادة حملة الى مرجعيون ، التابعة للسيطرة المغولية ، لكن القائد المغولي تصدى له ، وهو نسيب كتبغا ادت لمقتله ، مما اثار حفيظة المغول ، وجهز حملة للتصدي للصليبيين في صيدا ، للاستزادة ، القزاز ، الحياة السياسية في عصر المغول ، ص425 .

(2) يذكر المقريزي (ان الصليبيين خرجوا اليه بالهدايا وارادوا ان يرسلوا معه قوات لمساعدته فشكرهم واخلع عليهم واستحلفهم ان يكونوا لا له ولا عليه) السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 430 . كما وعد الصليبيون بانهم سيحصلون على ما يغنمه المماليك من غنائم باسعار منخفضة ، رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص 1335 –1336 .

(3) حول الاتصالات بين المغول والصليبيين ، رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص 1335 ؛ محمد ، سوادي عبد ، اضواء على التحالف الصليبي المغولي ضد العراق والمشرق العربي ، مجلة المورد ، م16 ، العدد 28 ، (1408هـ / 1987م) ، ص 177-181 .

وبالتالي دخلت دمشق تحت سلطان المغول ، ثم توقفت العمليات العسكرية المغولية في بلاد الشام لبعض الوقت لسببين :-

الاول :- وفاه الخان المغولي منكو في عام 655هـ/1257م ، وظهور بوادر صراع على السلطة بين اخوي هولاكو قوبيلاي واريق يوغا على زعامة المغول ، في حين كان يعتقد انه احق بانتخابه خانا اعظم [1] للمغول لما حققه من فتوحات كبيرة .

الثاني :- تعرض ايران التابعة له لضغط متواصل من ابن عمه بركة خان زعيم القبيلة الذهبية وحاكم القبجاق [2] ، بعد اعتناق الاخير الاسلام ، واخذ يتوعد هولاكو [3] ويتهدده بسبب ما اقترفه من مذابح وقتله للخليفة العباسي [4] .

وبعد رحيل هولاكو تولى كتبغا حكم بلاد الشام ، الذي بوغت بانباء تحرير غزه ومطاردة قائده بيدرا ، مما اثار حفيظة كتبغا ، بدا بجمع شتات قواته في بلاد الشام والبقاع ولبنان ، كما استدعى الملك الاشرف موسى بن المنصور[5] صاحب حمص ، وقاضي القضاة محي الدين [6] ، وعقد مجلسا استشاريا لذوي الراي ، فمنهم من اشار بعدم لقاء الجيش المصري ، والانتظار لوصول مدد من هولاكو في ايران ومنهم اشار بالقتال اعتمادا على اسطورة قوة المغول التي لا تقهر [7] ، وهكذا تفرقت الاراء ، وفي النهاية اصر كتبغا على المواجهة ، فاتجه الى بعلبك متخذا طريق الجليل الى وادي الاردن ، الا انه فوجىء بثورة ضده في دمشق ، فعاد مسرعا لاخمادها ، مما اخر تقدمه الى عين جالوت [8] .

---

(1) ينظر محمود سعيد عمران ، المغول واوربا ، ص64

(2) سميت بالقبيلة الذهبية نسبة الى خيامهم التي اشتهرت بلونها الذهبي ، انظر شبولر ، العالم الاسلامي في العصر المغولي ، ص91،58، فما بعدها

(3) كان السبب الرئيسي للصراع بينهم التنافس على اراضي القوقاز ، للاستزادة ، شبولر ، العالم الاسلامي في العصر المغولي ، ص 50-51 .

(4) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 394 – 395 .

(5) الهمذاني ، جامع التواريخ ، مج2 ، ج1 ، ص 311 .

(6) هو الملك الاشرف موسى صاحب حمص حضر الى هولاكو في حلب واصبح نائبا له في الشام ، ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص 173 ، اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج1 ، ص 356 .

(7) هو القاضي محي الدين محمد بن يحيى المعروف بابن زكي ، قدم الى دمشق من عند هولاكو وفي يده فرمان (امر سلطاني) بولاية قضاء الشام والنظر باوقافها ؛ الكتبي ؛ عيون التواريخ ، ج20 ، ص 224 .

(8) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج1 ، ص360 ، الكتبي ، عيون التواريخ ، ج20 ، ص 226-227 .

(4) رنسسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص 335 .

الفصل الرابع

معركة عين جالوت الحدث واهم النتائج :-

اولا : تقصي الاخبار قبيل المعركة .

ثانيا: التنسيق مع القوى المتعاطفة في الجيش المغولي .

ثالثا: خطة معركة عين جالوت .

رابعا: النتائج التي ترتبت على معركة عين جالوت .

خامسا : أبرز اعمال الملك المظفر قطز في بلاد الشام بعد المعركة .

ا- العمل على استتاب الامن والاستقرار في ربوع بلاد الشام .

ب- تعيين الولاة والنواب ، وتوزيع الاقطاعات على الامراء في بلاد الشام

ج- اعداد حملة من الخيالة لتصفية فلول المغول المتبقية في بلاد الشام .

د- محاسبة ومعاقبة المتعاونين مع المغول .

هـ- اعادة اعمار ما خربه المغول في بلاد الشام من قلاع وحصون

و- محاولة الملك المظفر قطز احياء الخلافة العباسية .

سادسا : اغتيال الملك المظفر قطز

معركة عين جالوت الحدث واهم النتائج :-

كان على قطز وجماعة من الاطراف المعنية بالمواجهة العسكرية المقبلة مع المغول اتخاذ جملة اجراءات مبدئية هي :-

اولا: تقصي الاخبار قبيل المعركة :

اعتمد الملك المظفر قطز على قائد طليعة جيشه الامير بيبرس البندقداري في جمع المعلومات عن تحركات المغول باسهام اهالي بلاد الشام الذين زودوا الجيش المصري الاسلامي بالمعلومات عن تحركات المغول وتجمعاته [1] مما سهل عملية فهم وتحركات العدو واستعداداته وامكانات المواجهة معه .

ثانيا:- التنسيق مع القوى المتعاطفة في الجيش المغولي :

حاول الملك المظفر قطز تفكيك تحالف المغول مع القوى الاسلامية فقد بعث رسالة الى الملك الاشرف مظفر الدين موسى والي حمص والملك السعيد بن الملك العزيز والي الصبيبة وبانياس يستميلهم اليه للعمل ضد المغول فكان رد الملك الاشرف ايجابيا ومتعاونا ، ووعده بخذلان المغول عند اللقاء ، اما الملك السعيد فكان رده سلبيا ، وسب الرسول ومن ارسله [2] ، كما تلقى رسالة من الامير صارم الدين ازبك بن عبد الله الاشرفي [3] (مملوك الملك الاشرف صاحب حمص) فيها معلومات قيمة عن الجيش المغولي يتضمن نقاط ضعفهم واوصاه ان تدعم ميمنة الجيش المصري لمجابهة الهجوم المغولي الذي سيركز عليها الهجوم ، وانه سيهرب عند الملتقى مع المغول مع اصحابه لاثارة ارتباك العدو [4] .

---

(1) ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج5 ، ص350 ، اليونيني ، ذيل مراة الزمان ، ج1 ، ص366 ، العريني ، المغول ، ص259 .

(2) النويري ، نهاية الارب ، ج29 ، ص273 ، ابن خلدون ، العبر ، ج5 ، ص820 .

(3) كان قد وقع اسيرا بيد المغول عند احتلالهم لبلاد الشام ، ثم اطلقه هولاكو وقربه اليه بعد ان اطمأن من جانبه ، ووثق به ، لمزيد من المعلومات ، ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج8 ، ص53-57 .

(4) ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج8 ، ص56-57 ، العبادي ، قيام دولة المماليك ، ص164-165 .

ثالثا : خطة معركة عين جالوت :-

عقد الملك المظفر قطز مجلسا حربيا حضره امراء عسكره لمناقشة خطة المعركة التي وضعت كما يبدو عند وصولهم الى موقع ارض عين جالوت ، مستغلين طبيعة المنطقة الجغرافية لوضع الكمائن ومن ثم إستدراج المغول لها ، وعمل قطز . على اثارة همم امرائه وحثهم على القتال ورغبهم فيه ، وذكرهم بما قام به المغول من قتل وتدمير ونهب ، ودعاهم الى نصرة الاسلام والجهاد في سبيل الله ، دفاعا عن المسلمين وحرماتهم ، وخوفهم من عقاب الله ان هم ولوا الادبار في المعركة : مما اثار حميتهم . " وتحالفوا على الاجتهاد في قتال التتار "[1] ، اما الخطة فقد بنيت على حرمان المغول من الاستفادة من دعم فرسانهم ، لاحداث اختراق في جبهة الجيش المصري (الاسلامي) لان شل حركة الخيالة ، يعني حرمانهم من قابلية الحركة والمناورة لذلك عسكر الجيش المصري بحيث جعل مستنقعات [2] عين جالوت ونهر الاردن تحميان جناحيه الايمن والايسر ، كما اسند الجيش ظهره الى القسم الكائن بين القلب والجناح الايسر ، في هذا القسم فتحة ضيقة خالية من المستنقعات يمكن ان يندفع خيالة المغول منها ، واقيمت خلف هذه البقعة مراكز اسناد محكمة على شكل جيب ، وكان نباله الجيش المصري يشغلون مراكز الاسناد حول هذا الجيب ، بحيث ان سهامهم تغطي ساحة الجيب تماما . وخلف مراكز الاسناد هذه حشدت تشكيلات كبيرة من مشاة الجيش المصري للانقضاض على خياله المغول في حالة دخولهم الجيب [3] .

اما الخيالة المصرية فقد حشدت خلف الجيش المصري لصد أي اختراق يقوم به العدو. كما استفاد الجيش المصري من عدم توفر معلومات كافية للمغول عن طبيعة المنطقة ، مما

---

(1) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص430 .

(2) تقع عين جالوت في سهل مرج ابن عامر في الجزء الجنوبي الشرقي منه يحدها من الشمال الشرقي الناصرة ومن الجنوب جنين ومن الجنوب الغربي الكرمل وجبال نابلس ومن الشرق جبال فقوعة ووادي جالوت ، وعين الجالوت بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من اعمال فلسطين ، ياقوت الحمودي ، معجم البلدان ، م4 ، ص177 .

(3) خطة معركة عين جالوت ، اسلام اون لاين –نت ، ص2–5 .

Mamluk. In foplease, P.17.

سهل على المصريين (الجيش الاسلامي) انتخاب المدخل الغربي لوادي عين جالوت ساحة للقتال ، واجبار العدو على قبولها [1] .

واقتضت خطة الملك المظفر قطز ان تخفى قواته الرئيسة بين التلال والاحراش القريبة من عين جالوت ، والا يظهر للعدو سوى المقدمة التي كان يقودها الامير بيبرس البندقداري ، الذي كلف بالتعرض للعدو واستدراجه الى الكمين .

وفي صباح الجمعة (25 / رمضان 658هـ / 3 ايلول 1260) هاجمت عساكر المغول القوات المصرية بكافة قواتها ، دون الاحتفاظ بقوة احتياطية [2] لغرض صدم المماليك بقوة كبيرة ، وحسم المعركة بسرعة ، فاستدرج كتبغا الى الكمين حيث تم الاطباق عليه كما اشار الى ذلك الهمذاني " وكان قطز قد عبأ الجيش في كمين واعده خير اعداد . ثم ركب هو بنفسه وثبت مع نفر قليل من الجند وقاتل كيتوبوقا مع عدة الاف من الفرسان كلهم من اهل الحرب والمراس في عين جالوت ، فقذف المغول سهامهم وحملوا على المصريين فتراجع قطز [3] ولحقت بجنوده الهزيمة ، وهنا تشجع المغول وتعقبوه وقتلوا كثيرا من المصريين ولكن عندما بلغوا الكمين ، انشق من عليهم ثلاث جهات ، واغار المصريون على جنود المغول ، وقاتلوهم قتالا مستميتا من الفجر حتى منتصف النهار ، ثم تعذر الصمود المغولي ولحقت به الهزيمة أخر الامر [4] ".

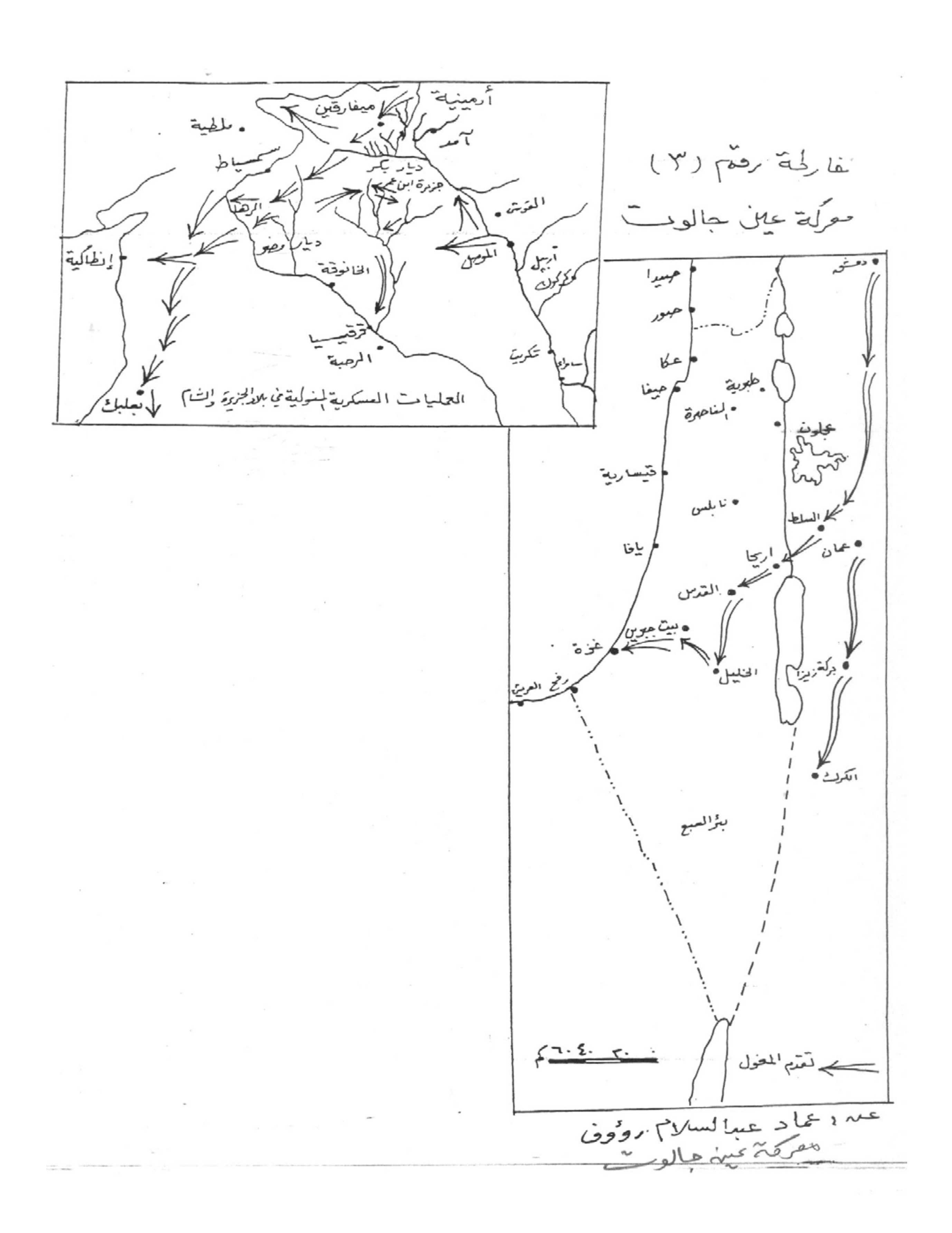
---

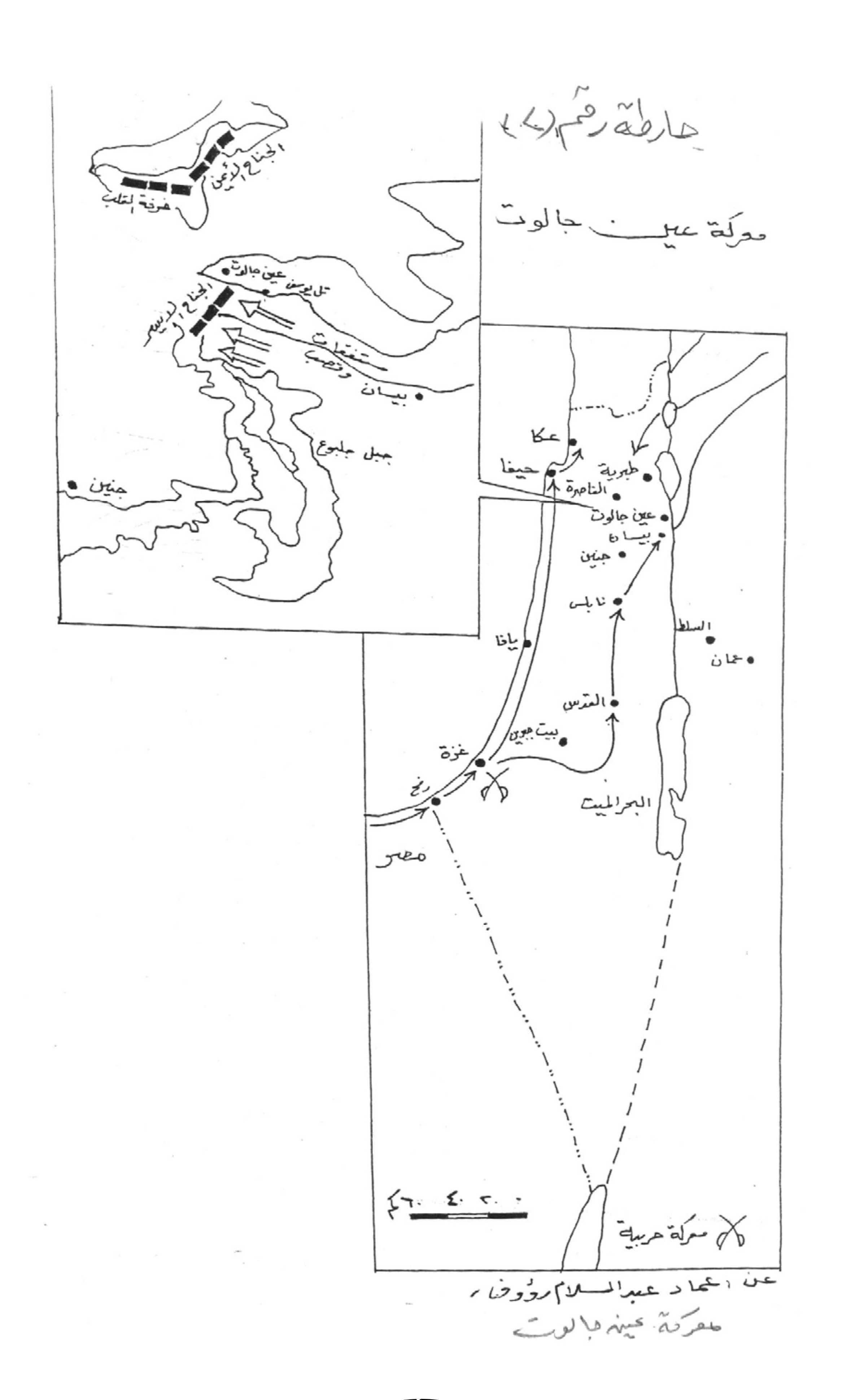
(1) رؤوف ، معركة عين جالوت ، ص41–ص42 .

(2) مما ساهم في احراز نصر سريع للجيش المصري هو عدم وجود قوات اضافية للمغول ، ينظر محمود نديم ، الفن الحربي ، ص141 ، رؤوف ، معركة عين جالوت ، ص47 فما بعدها .

(3) كان يقود طليعة الجيش المملوكي الامير بيبرس البندقداري وليس الملك المظفر قطز ، وقد اطلقت عليها المصادر التاريخية الجناح الايسر ، والاصح هو طليعة الجيش ، رؤوف ، معركة عين جالوت ، ص47 ، حاشية 71–72 .

(4) الهمذاني ، جامع التواريخ ، مج2 ، ج1 ، ص316 .

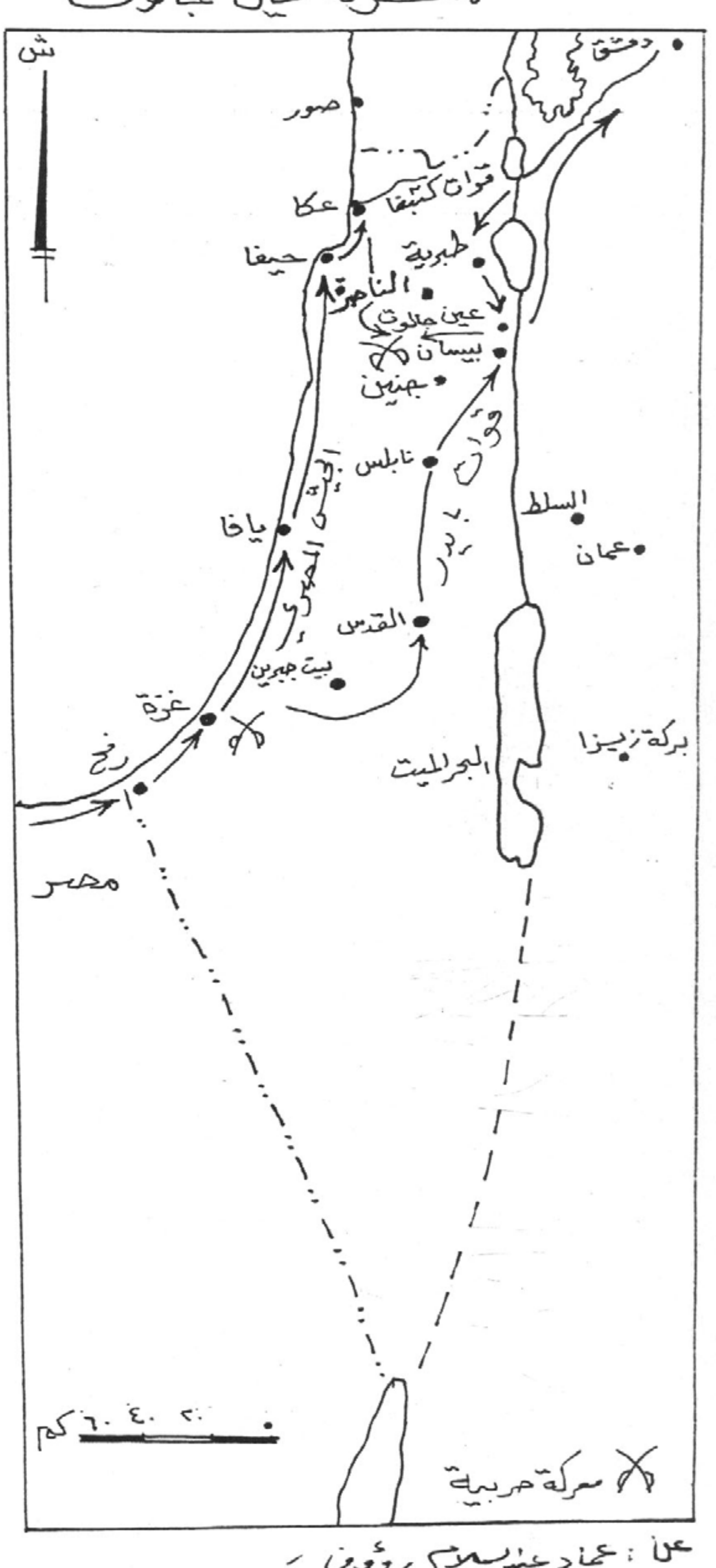

خارطة رقم (٣)
معركة عين جالوت
العمليات العسكرية المغولية في بلاد الجزيرة والشام
ميفارقين
أرمينية
آمد
ملطية
سميساط
ديار بكر
جزيرة ابن عمر
العقر
الرها
ديار مضر
الموصل
إربل
كركوك
إنطاكية
الخانوقة
قرقيسيا
الرحبة
تكريت
سامراء
بعلبك
دمشق
صيدا
صور
عكا
حيفا
طبرية
الناصرة
عين جالوت
قيسارية
نابلس
السلط
يافا
عمان
أريحا
القدس
بيت جبرين
غزة
الخليل
رفح
العريش
بركة زيزا
الكرك
بئر السبع
٦٠ ٤٠ ٣٠ كم
تقدم المغول
عن: عماد عبد السلام رؤوف
معركة عين جالوت



خارطة رقم
معركة عين جالوت
الجناح الأيمن
فرقة القلب
عين جالوت
تل يوسف
الجناح الأيسر
بيسان
جبل جلبوع
جنين
عكا
حيفا
طبرية
الناصرة
عين جالوت
بيسان
جنين
نابلس
السلط
عمان
يافا
القدس
بيت جبرين
غزة
رفح
البحر الميت
مصر
٦٠ ٤٠ ٢٠ ٠ كم
معركة حربية
عن: عماد عبد السلام رؤوف
معركة عين جالوت

خارطة رقم (١)

معركة عين جالوت



عن: عماد عبد السلام رؤوف / معركة عين جالوت

وانتهت المعركة بقتل كتبغا واسر ابنه [1] ومطاردة فلول المغول التي تسلقت قسما منها التلال والجبال ، واخرى اختبأت في الاحراش ومزارع القصب التي اضرمت بها النيران ، وتمكن بيدرا مع قسم من جنود المغول من الهرب الى جهة الشرق باتجاه بيسان القريبة من عين جالوت ، حيث حاول جمع صفوفهم واعادة تنظيمهم من جديد ، واشتبكوا مع الجيوش المصرية الاسلامية ثانية في معركة بيسان وكانت أشد وطاة وضراوة من الاولى كما وثقها المقريزي بقوله " ومر العسكر في اثر التتر الى قرب بيسان فرجع التتر وصافوا مصافا ثانيا اعظم من الاول فهزمهم الله وقتل اكابرهم وعدة منهم ، وكان قد تزلزل المسلمون زلزالا شديدا فصرخ السلطان صرخة عظيمة سمعه معظم العسكر وهو يقول :" واسلاماه .." ثلاث مرات ,, ياالله .. انصر عبدك قطز على التتار ، فلما انكسر التتار الكسرة الثانية ، نزل السلطان عن فرسه ومرغ وجهه على الارض وقبلها ..." [2] .

امام ذلك الانتصار العظيم ارسل الملك المظفر قطز رسالة الى دمشق ، التي كانت تحت السيطرة المغولية ، يبشر الناس بفتح الله وخذلان المغول [3] ، ثم سار الملك المظفر قطز من بيسان باتجاه دمشق ليدخلها في 4 شوال / 658هـ / 13 ايلول 1260م [4] ، وقبيل دخول قطز اليها هرب منها المغول بعد ان وصلتهم انباء انتصار المماليك عليهم .

---

(1) يذكر الهمذاني ان كتبغا أسر ثم قتل ، جامع التواريخ ، مج2 ، ج1 ، ص316 ، في حين تجمع المصادر التاريخية المصرية انه قتل في المعركة ، للمزيد من التفاصيل ، ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص175 ، ابو شامه ، الذيل على الروضتين ، ص207 ؛ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج1 ، ص361 ؛ بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة ، ص51 ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج29 ، ص474 ؛ العيني ، عقد الجمان ، ص243 ، وقد ذكر اليونيني انه قتل من قبل جمال الدين اقوش الشمسي ، ذيل مراة الزمان ، ج 1 ، ص361 .

(2) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص431 .

(3) ابو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص209 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص432 .

(4) نفس المصدر ، ص409 .

رابعا : النتائج التي ترتبت على معركة عين جالوت

1-تعد معركة عين جالوت من اهم المعارك الحاسمة في التاريخ لانها غيرت المسار التاريخي خلال تلك الحقبة الزمنية ، اذ انهت فيها اسطورة المغول التي لا تقهر وفتوحات جيش امتدت انتصاراته بحدود اربعة الاف ميل .

2- برزت الدولة المملوكية بوصفها قوة كبرى في المنطقة العربية الاسلامية ، المدافعة عن الاسلام ، وازالت عقدة الخوف التي لازمت الناس كما وثقها بيبرس المنصوري [1] " فهذه " اول الوقائع التي ابلوا فيها البلاء الحسن واذهبوا عن الاسلام واهله الحزن وظهرت فيهم الشجاعة والباس واعادوا رونق الملك وقد حصل منه الباس ودفعوا هذا العدو الشديد الذي افنى العديد واباد كل من طاوله في الامد القريب من المدى البعيد ولم يتلكؤ عن لقائه ." ، وتخليدا لهذا النصر العظيم يقام نصبا باسم مشهد النصر ، يقيمه الملك الظاهر بيبرس في القاهرة [2] .

3- ارست معركة عين جالوت دعائم حكم المماليك في مصر وبلاد الشام ، وانهت الحكم الايوبي ، حيث قتل الملك الناصر يوسف الثاني مباشرة بعد المعركة على يد هولاكو ، وبذلك انهت المنافسة الايوبية لها . وتوحدت الشام ومصر .

4- من ثمار معركة عين جالوت فشل سياسة الصليبيين في الشرق الادنى فأضعفت التقارب الصليبي المغولي ضد المسلمين ،[3] بل عجلت في زوال الامارات الصليبية في بلاد الشام .

---

(1) زبدة الفكرة ، ص51 ؛ العيني ، عقد الجمان ، ص246 .

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور ، الظاهر بيبرس ، (القاهرة 1963) ص33 .

(3) أمر هولاكو بقتل الملك الناصر يوسف الثاني باتهامه انه خدع هولاكو ، لانه استشاره حول قوة المماليك لاحتلال مصر ، فاخبره انه لم يبق فيها الا قليل من مماليكهم ، وانتقاما لمقتل كتبغا ، بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة ، ص53-54 ؛ الهمذاني جامع التواريخ ، مج2، ج1 ، ص317 ، حول الاتصالات المغولية الصليبية وفشل هذه الاتصالات ، ينظر محمد ، سوادي عبد ، اضواء على التحالف الصليبي المغولي ضد العراق والمشرق العربي ص 177-181 ، عمران ، المغول واوربا ، ص66، ص216 ، فما بعدها .

5- توطدت العلاقات بين المماليك وبقية الحكام المسلمين بعيد المعركة اذ تم ارسال مجموعة من الرسائل الى ارجاء بلاد مصر والشام ، واليمن [1] كما انها اسهمت في توطيد علاقة المماليك مع مغول القفجاق ، وادت الى قيام تحالف ضد العدو المشترك المتمثل بالدولة الالخانية في ايران [2] .

6- انحسار المد المغولي واتخاذ نهر الفرات حاجزا طبيعيا بين المماليك والمغول وتحول خططهم من الهجوم الى الدفاع كما اشار بذلك مؤرخهم الهمذاني " لم تكن الظروف تسمح بذلك بسبب وفاة منكوقان وبسبب الخلاف الذي ظهر بينه وبين اقاربه ولهذا عدل عن الفكرة عن غزو مصر " ، وادى كذلك لفشل مخططهم التوسعي باتجاه افريقيا واوربا [3] .

7- كان من نتائج معركة عين جالوت خروج بعض الولايات عن طاعة المغول مثل ولاية الموصل وسنجار ، وتوجه اولاد بدر الدين لؤلؤ الى القاهرة وتحالفهم مع المماليك [4] . كما انفرطت عرى التحالف المغولي مع ارمينيا ومن ثم احتلال عاصمتها سيس من المماليك [5] .

8- احياء الخلافة العباسية في القاهرة ، واعادة هيبتها ورونقها ، ورغم اتخاذها من قبل المماليك ركيزة للاستناد عليها في شرعية حكمهم ، مع محاولاتهم لتحرير العراق من المغول [6] .

9- انتعاش المجال الاقتصادي في مصر من خلال العلاقات لاسيما في النشاطات التجارية على الصعيد العالمي مع المماليك ، التي كان محورها البحر المتوسط والبحر الاحمر ، لذا عملوا ان يكون لهم حضور واسع في هذا المضمار فهيمنوا على التجارة بين الشرق

---

(1) اليونيني ، ذيل مراة الزمان ، ج1 ، ص367 ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج1، ص307 .

(2) حول التقارب وعقد تحالف لضرب هولاكو ، لمزيد من التفاصيل ، ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج8 ، ص97 ؛ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص171 ؛ سرور دولة الظاهر ، بيبرس ، ص104 .

(3) شبولر ، العالم الاسلامي في العصر المغولي ، ص48-49 .

(4)المولى ، سالم ، العراق في السياسة المملوكية ، ص94 فما بعدها .

(5) تم احتلال سيس عام 664هـ/1265م ، ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص270 ؛ ابن ابي الفضائل ، النهج السديد ، ص152 .

(6) حول مشاريع تحرير العراق ، المولى ، سالم ، العراق في السياسة المملوكية ، ص75 وما بعدها .

والغرب [1] ، كما حرص المماليك على تأكيد نفوذهم في الحجاز واليمن ، وان يفرضوا هيمنتهم وسيادتهم على بلاد النوبة [2] . فتحققت لهم الهيمنة على تجارة البحر الاحمر الذي اصبح بحيرة مقفلة لهم فضلا عن حضورهم في البحر المتوسط مع التجار الغربيين ونظمت لذلك معاهدات تجارية كتلك التي عقدت مع ملوك صقلية وقشتالة وجنوا والبندقية وغيرها [3] .

10- كان من نتائج معركة عين جالوت احتفاظ مصر بهويتها الحضارية والمدنية ، فلم تتعرض لما تعرضت له بغداد من دمار وخراب ، واصبحت القاهرة قبلة العلماء والادباء يجدون فيها التشجيع والتكريم ، بل هاجر اليها كثير من العلماء والادباء العراقيين ، وظهرت نتاجاتهم الادبية والمعرفية التي ساهمت في النهوض العلمي خلال تلك الحقب الزمنية [4] .

خامسا : ابرز اعمال الملك المظفر قطز في بلاد الشام بعد المعركة :-

أ- العمل على استتاب الامن والاستقرار في ربوع بلاد الشام .

ب-تعيين الولاة والنواب ، وتوزيع الاقطاعات على الامراء في بلاد الشام .

ج- اعداد حملة من الخيالة بقيادة الامير بيبرس البندقداري لتصفية الوجود المغولي في بلاد الشام .

---

(1) عن تزايد الانشطة التجارية في اواسط القرن السابع الهجري ، عاشور ، العصر المماليكي في مصر ، ص284-285 .

(2) حول محاولات المماليك لتاكيد نفوذهم على بلاد النوبة ، ينظر محمد جمال الدين سرور ، دولة بني قلاوون في مصر ، (القاهرة -1366هـ) ، ص150-155. ؛ العبادي ، قيام دولة المماليك ، ص231-234 ؛ الجاسم ، عبد الرزاق ذنون ، العلاقات بين مصر وبلاد النوبة في عصر المماليك ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب ، جامعة الموصل ، 1980 ، ص76-113 .

(3) حول تزايد الانشطة التجارية مع دول اوربا ، ينظر ، عاشور ، العصر المماليكي في مصر، ص284-296 ؛ بروي ، ادوارد ، تاريخ الحضارات العام ، منشورات عويدات ، (بيروت -1958) ، ص551 .

(4) حول هجرة العلماء والادباء الى بلاد الشام ومصر ، الطوبي ، يوسف جرجيس حبو ، جهود العراقيين الحضارية في بلاد الشام ومصر ، 656 - 803هـ / 1258 - 1400م ، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية ، جامعة بغداد ، 1411 هـ / 1990م ص 56 وما بعدها .

د- محاسبة ومعاقبة المتعاونين مع المغول .

هـ- اعادة اعمار ما خربه المغول في بلاد الشام من قلاع وحصون .

و-محاولة الملك المظفر قطز احياء الخلافة العباسية .

أ- العمل على استتاب الامن والاستقرار في ربوع بلاد الشام :-

بعد تواتر الاخبار يوم الاحد السابع والعشرين من رمضان (658هـ/1260م) ، الى دمشق بهزيمة المغول وانتصار جيش المسلمين في معركة عين جالوت ، مما دفع شحنه دمشق ايل استان وغيره من نواب الشام الى الفرار وترك البلاد ، فيذكر المقريزي [1] " فورد الخبر بانهزام التتر الى دمشق ليلة الاحد .... ففر الزين الحافظي ونواب التتار من دمشق وتبعهم اصحابهم فامتدت اليهم ايدي اهالي الضياع ، ونهبوهم ، فكانت مدة استيلاء التتر على دمشق سبعة أشهر وعشرة ايام ."

واستكملت بشائر النصر بوصول رسالة الملك المظفر قطز الى اهالي دمشق في اليوم التالي يزف لهم نصره على المغول " فسر الناس به سرورا كثيرا "[2] ، وقامت انذاك ثورة كبيرة حصدت العناصر المتعاونة مع المغول لاسيما النصارى ومن تبعهم من اليهود لانهم " لما ملكوا التتار دمشق شمخت نفوسهم ..... وعاد كبارهم يترددون الى الشحنة المسمى ايل ستان والى كبار المغل ...... وحضر من عند هلاوون فرمانات اليهم والاعتناء بهم وارتفاع كلمتهم ، وعادوا يشربون الخمر على رؤوس الناس وعلى ابواب المساجد [3] كما انهم " هموا مرارا بالثورة على المسلمين ، وخربوا مساجد ومآذن كانت بجوار كنائسهم "[4] واستمرت اعمال النهب والسلب في دمشق ، لكن تدخل الجند حد من هذه التجاوزات ، وتوقفت بعد وصول الامير جمال الدين المحمدي الصالحي يوم الاربعاء 29/ رمضان الى دمشق ، بمرسوم من الملك المظفر قطز بتامين الناس والحفاظ على ارواحهم وممتلكاتهم .[5] وبعد يوم وصلت العساكر المصرية الى ضواحي دمشق واقامت معسكرها هناك ، وفي اليوم الثاني من شوال دخل الملك

---

(1) المقريزي ، السلوك ؛ ج1 ، ق2 ، ص432 ؛ ابن الىبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج8 ، ص 51 .

(2) المصدر نفسه ، ج8 ، ص51 .

(3) ابن ايبك الدواداري ، كنز الدر ، ج8 ، ص52 .

(4) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص432 ، ابو شامة الذيل على الروضتين ، ص208. ؛ ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج8 ، ص52 .

(5) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص432 .

المظفر قطز دمشق واقام في قلعتها [1] . وفي اثناء ذلك هاجم مجموعة من مماليكه بتحريض من بعض اهالي دمشق بعض دور النصارى ، فتصدى لهم وامر بشنقهم جميعا وكانوا قرابة الثلاثين فردا [2] ليضع حدا لاعمال النهب والسلب باتخاذ اشد الاجراءات حزما وصرامة .

ب- تعيين الولاة والنواب وتوزيع الاقطاعات على الامراء في بلاد الشام :

بعد القضاء على الفوضى واعمال النهب والسلب قام الملك المظفر قطز بترتيب حكم بلاد الشام وتعيين الولاة اذ عين الامير علم الدين سنجر الحلبي الصالحي نائبا عنه في دمشق ومعه الامير ابو الهيجاء بن عيسى بن خشتر الازكشي الكردي [3] كما عين الامير شمس الدين اقوش البرلي العزيزي على الساحل وغزه .[4] كما قام بتعيين الملك المظفر علاء الدين بن بدر الدين لولو في نيابة حلب لكي يكون قريبا من اخوته في الموصل ، كما صرح بذلك ابو الفداء بقوله : " وصار – أي الملك السعيد مع المظفر قطز ففوض اليه نيابة السلطنة بحلب وكان سببه ان اخاه الملك الصالح بن لؤلو قد صار صاحب الموصل بعد أبيه فولاه حلب ليكاتبه اخوه باخبار التتر "[5] .

اما موقفه من الايوبيين في بلاد الشام فانه أمن الملك الاشرف موسى الايوبي صاحب حمص واقره على امارته . بحمص والرحبة وتدمر بعد ان تخلى عن تحالفه مع المغول ، فعفا عنه واخذ عليه المواثيق والولاء [6] . كذلك قام ببعض التعديلات الادارية فاقر الملك المنصور علي حماة وبارين واعادله المعرة التي كانت بيد حكام حلب منذ عام (635هـ/1237م) ، واخذ

---

(1) ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص176 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص432 .

(2) ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص176 .

(3) الامير عيسى ابن خوشتر الازكشي الكردي ، توفى بدمشق 661هـ/1262م، ينظر اليونيني ، ذيل مراة ، ج1 ، ج2 ، ص223 .

(4) اقوش بن عبد الله العزيزي المعروف بالبرلي ، كان من مماليك الناصر يوسف الثاني وانظم لقطز . وشارك في معركة عين جالوت ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج3 ، ص 15-17 .

(5) حول التجاء الامير علاء الدين بن بدر الدين لؤلؤ الى بلاد الشام ، واختلاف الاراء حول السنة التي وصل بها لبلاد الشام فقد ذكر ابن العبري انه التجأ عام (659هـ / 1261م) تاريخ مختصر الدول ، ص 282 ؛ الصائغ ، سليمان ، تاريخ الموصل ، (مصر – 1923) ، ج1 ، ص 236 اما القزاز فيذكر انه التجأ عام 658هـ / 1260م ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، ص 363 ؛ لكن الارجح انه وصل الى بلاد الشام في شعبان (657هـ / 1259م) في عهد الملك الناصر يوسف الثاني ، ثم التحق بالملك المظفر قطز وشارك في معركة عين جالوت ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج3 ، ق1 ، ص 207 ؛ ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الاداب ، ج2 ، ق2 ، ص 1054 ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج2 ، ص298 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج5 ، ص 283 .

(6) اليونيني ، ذيل مرأة الزمان ، ج1 ، ص 370 ؛ العيني ، عقد الجمان ، ص 248 .

منه سلمية واعطاها للامير شرف الدين عيس بن مهنا بن مانع أمير العرب [1] . كما اقر الملك المغيث عمر على الكرك والشوبك [2] . واخذ الملك المظفر قطز ينعم بالاقطاعات السخية على اتباعه من المماليك [3] . المعزية والصالحية ، كما حرم قسم من المماليك القيمرية من املاكهم واقطاعاتهم . لموقفهم المعادي لاستاذه الملك المعز ايبك عند تسليمهم لمدينة دمشق للملك الناصر يوسف الثاني عام (648هـ / 1250 م) [4] . في حين كافأ اصحابه من المماليك المعزية والصالحية لموقفهم المساند والداعم لحربه في معركة عين جالوت .

ج – اعداد حملة من الخيالة لتصفية فلول المغول المتبقية في بلاد الشام .

عند وصول الملك المظفر قطز الى دمشق أعد حملة عسكرية لمطاردة فلول المغول باتجاه الشمال والتصدي للامدادات التي قام بارسالها هولاكو الى بلاد الشام لدعم قائده كتبغا[5] . فتصدى لها الجيش المصري بقوة عند مدينة حمص منزلا بها هزيمة ساحقة ، اما ما تبقى اذ من قوات المغول في بلاد الشام فتم مطاردتها من قبل الجيش المصري " القوا ما كان معهم من متاع وغيره ، واطلقوا الاسرى ، وخرجوا نحو طريق الساحل فتخطف المسلمون منهم وقتلوا خلقا كثيرا ، واسروا أكثر [6] ."

ويعد هذا تحولا كبيرا لسير المعارك ، وتخاذل المغول ، لانه للمرة الاولى التي يهرب فيها المغول من ساحة المعركة تاركين نسائهم واطفالهم غنيمة للمسلمين .

د- محاسبة ومعاقبة المتعاونين مع المغول :-

اعقب انتصار الملك المظفر قطز مباشرة بعيد معركة عين جالوت محاسبة ومعاقبة العناصر التي ساندت مع المغول وساهمت في احتلالهم لبلاد الشام اذ امر بضرب عنق الملك السعيد صاحب بانياس لتحالفه مع المغول واقتناعه بالتعاون مع الجيش المصري قبيل معركة

---

(1) العيني ، عقد الجمان ، ص245 .

(2) ابن شداد ، الاعلاقة الخطيرة ، ج3 ، ق2 ، ص76 .

(3) ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص176 .

(4) حول موقف امراء القيمرية من الملك المعز ايبك ينظر ، العيني ، عقد الجمان ، ص33 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص367.

(5) بيبرس المنصوري ، زبده الفكرة ، ص51 .

(6) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص434 ، بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة ، ص51 .

عين جالوت ، وقتاله مع المغول ضد ابناء دينه وامته [1] . ثم شنق حسين الكردي الطبردار لخيانته الملك الناصر يوسف الثاني وتسليمه للمغول [2] ، كما تم تصفية كثير من عملاء وادلاء المغول [3] كما ان الملك المظفر قطز فرض جزية على نصارى دمشق مائة وخمسون الف درهم فجمعوها وحملت اليه بواسطة الامير فارس الدين اقطاي المستعرب اتابك العسكر [4] . لتعاونهم وتامرهم مع المغول .

هـ – اعادة اعمار ما خربه المغول في بلاد الشام :-

عمد المغول عند احتلالهم لبلاد الشام الى تهديم القلاع والحصون والجسور واسوار المدن ، اذ امر هولاكو بهدم اسوار حلب ودمشق وحماه وحمص وغيرها من المدن الشاميه [5] ، لذا عمل الملك المظفر على اعادة اعمار ماخربه المغول ، اذ يذكر اليونيني ذلك ، انه امر " الامير علم الدين الحلبي بتجديد عمارة قلعة دمشق ، وزفت بالمغاني والطبول والبوقات وفرح اهل دمشق بذلك [6] ."

و– محاولة الملك المظفر قطز احياء الخلافة العباسية :-

لم تكن فكرة احياء الخلافة [7] العباسية واعادتها الى العراق بعيدة عن تفكير الملك المظفر قطز كما يبدو ، لذا فانه ما أن علم عن طريق أميرأل فضل عيسى بن مهنا بوجود أمير

---

(1) النويري ، نهاية الارب ، ج29 ، ص476–477 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص221–222.

(2) ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص 176 .

(3) حيث تم تصفية ابن الماكسيني والفخر بن محمد بن يوسف الكنجي وابن النفيل ، لمزيد من المعلومات ، ابو شامه ، الذيل على الروضتين ، ص208 ، اليونيني ، ذيل مراة الزمان ج1 ، ص361 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص221 .

(4) ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص176 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1، ق2 ، ص433 .

(5) ابو شامه ، الذيل على الروضتين ، ص205–206 ؛ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج1 ، ص351 ؛ العيني ، عقد الجمان ، ص240– 241 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1، ق2 ، ص422–426 .

(6) ذيل مراة الزمان ، ج1 ، ص373 ؛ ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج7 ، ص83،82 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج10 ، ص236، مرزوق ، محمد عبد العزيز ، الفن المصري الاسلامي ، (مصر –1952) ص87 فما بعدها .

(7) احياء الخلافة العباسية لم تعني مجرد الحصول على سند شرعي للمماليك الذين كانوا يتطلعون اليه ، بل خطوة اكبر لازاحة القوات المغولية المتمركزة في العراق ، التي تتماشى مع مشاعر العرب والمسلمين الذين كانوا يتطلعون الى احياء الخلافة والى تحرير العراق من المغول ، لان زوال الخلافة احدثت فراغا كبيرا في

عباسي لاجي في بلاد الشام هو الامير ابو العباس احمد [1] ، بادر بالطلب من الامير ال فضل العمل على ارساله الى القاهرة لكي يتخذ الاجراءات لاعادته الى بغداد ، والى هذا اشار ابن ابيك الداوداري بقوله على لسان الملك المظفر قطز ، " اذا رجعنا الى مصر ، انفذه الينا لنعيده ان شاء الله [2] ." بل تذهب بعض المراجع الحديثة الى ان الملك المظفر قطز قد بايع الامير ابا العباس احمد بالخلافة [3] ويبدو على الارجح ما ذكره اليونيني [4] ان الملك المظفر قطز قد رحب به أي بالامير العباسي وارسل اليه الامير سيف الدين قليج البغدادي [5] الى نحو بغداد وأمره باستصحاب الحاكم معه ، فاجتمع به وبايعه على الخلافة [6] (أي الامير سيف الدين قليج البغدادي وليس الملك المظفر قطز) [7] الذي لم يلتق بالامير العباسي ، بل انه رحب به من خلال لقائه بالامير عيسى بن مهنا امير ال فضل ، وطلب ان يوجهه الى القاهرة ، لمبايعته واعادته الى العراق [8] قبل ان يغادر بلاد الشام نحو مصر لكن خطته هذه لم يكتب لها

نفوس المسلمين ، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن طقطقا ، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، (بيروت ، دار صادر ، 1966) ، ص142، ابو شامه ، الذيل على الروضتين ، ص213 ، ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص99 .

(1) هو ابو العباس احمد بن علي الحسن القبي بن علي بن ابي بكر ابن الخليفة المسترشد بالله اختفى عند احتلال المغول لبغداد واتجه مع جماعة الى الامير حسن بن فلاح امير خفاجه ثم اتجه نحو الامير زامل بن سيف الدين ين حذيفة ثم الى الامير عيس بن مهنا امير ال فضل واستقر عنده ، بن الساعي ، علي بن انجب بن عثمان ، مختصر اخبار الخلفاء ، (بولاق 1309هـ ، 141 ؛ اليونيني ، ذيل مراة الزمان ج1 ، ص484–485 ؛ ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين احمد ، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامن ، تحقيق محمد سيد جاد (القاهرة ، دار الكتب الحديثة1966) ج1 ، ص128 .

(2) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج1 ، ص484–485 .

(3) حسن ، علي ابراهيم ، تاريخ المماليك البحرية ، ص244 .

(4) ذيل مرآة الزمان ، ج1 ، ص485 .

(5) كان والد سيف الدين قليج احد اكابر الامراء في الدولة الايوبية توفى 644هـ / 1246م ، واستمر ابنه سيف الدين في خدمة الدولة الايوبية ومن ثم المملوكية ، اليونيني ، ذيل مراة الزمان ، ج1 ، ص160–161 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 267 ، 448 ، 436 ، 499، 553، 643 .

(6) اليونيني ، ذيل مراة الزمان ، ج1 ، ص485 .

Aylon, David, studiesonthe. transer of the abbasid caliphatefrom Baghdad to Cairo, in studie Arabica, vol.2- l, no. 768, 1960- 1961 , pp . 45-47.arbica.

(7) ينظر سالم المولى ، العراق في السياسة المملوكية ، ص 60 – 64 .

(8) اليونيني ، ذيل مراة الزمان ، ج1 ، ص485 –486 ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج6 ، ص317 .

ان تخرج الى حيز التنفيذ ، اذ ان الملك المظفر قطز قتل في السابع عشر من ذي القعدة سنة 658هـ / 1260 وهو في طريق عودته الى القاهرة [1] .

سادسا : اغتيال الملك المظفر قطز :-

كان الملك المظفر قطز قد رتب الاوضاع في بلاد الشام ، وعين الولاة ، واسهم في توحيد صفوف المماليك ، وجعلهم قوة متراصة للتصدي للغزو المغولي ، لكن ما ان زال الخطر حتى بدات تظهر على السطح الخلافات ، وتدخل الوشاة بينهم مما حذا بالملك المظفر قطز في السادس عشر من شوال ان يقفل عائدا الى مصر [2] ، قاطعا زيارته الى حلب ، لان بعض الوشاة ابلغوه ان الامير بيبرس مع جماعة من امراء البحرية قد تنكروا له وانهم يضمرون له الشر [3] ، وفي اثناء عودته وعند مدينة القصير [4] تم اغتياله يوم السبت [5] (16 ذي القعدة / 658هـ / 1260م) .

وقد تظافرت مجموعة من العوامل ادت الى اغتياله .

1- بروز الامير بيبرس ومطالبه السياسية ، وطموحه الشخصي لتولي ارفع المناصب وتجاوز كل معارض يقف في الطريق ، لاسيما بعد انتهاء السبب الذي ادى لتقاربهما ومصالحتهما وهو العدو المشترك المغول ، كما ان الملك المظفر قطز لم

---

(1) سنتكلم لاحقا عن مقتل الملك المظفر قطز .

(2) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص434 .

(3) ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج8 ، ص60 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1، ق2 ، ص343 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ج7 ، ص82 .

(4) القصير ، بليدة تقع بالقرب من الصالحية في مصر وهي اليوم قرية الجعافرة في مركز فاقوس بمحافظة الشرقية في مصر ، العيني ، عقد الجمان ، ص 260 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص83 .

(5) تذكر قسم من المصادر انه قتل يوم 15 ذي القعدة . ومصادر اخرى يوم 17 ذي القعدة ، العيني ، عقد الجمان ، ص254 ، والاصح هو يوم 16 ذي القعدة لان يوم 15 ذي القعدة يصادف يوم الجمعة حسب التوقيتات الميلادية . العيني ، عقد الجمان ، ص254 . هامش (1) .

يوف بوعده بتعويض الامير بيبرس البندقداري نيابة حلب بعد ان وعده في ذلك في عقاب تحريرها من المغول [1] .

2- الدور البطولي الذي اداه الامير بيبرس في مواجهة المغول ، وما كان يتوقعه من مكافأة من الملك المظفر قطز ، الذي تغير عليه و" شمخت نفسه وتكبر ، وتنكر على الملك الظاهر –بيبرس – حاله وفهم عنه انه يريد خموله [2] ."

3- الوشاة والمحرضون الذين لعبوا دورا في اثار حفيظة احدهما على الاخر عندما اشاروا الى الملك المظفر قطز في وجود مؤامرة تدبر لاغتياله من امراء البحرية ، ومن ضمهم الامير بيبرس ، كما ابلغوا الامير بيبرس لاخذ احتياطه وحذره من قطز [3] لكن يبدو من هذه الرواية انها ضعيفة على الرغم من ان المصادر المملوكية قد اوردتها لان الملك المظفر قطز لو علم بالامر لاتخذ الاجراءات والتدابير الكفيلة لتصفية المتآمرين وهو في بلاد الشام ، او على الاقل لاتخذ الحيطة والحذر لحين عودته الى القاهرة وما كان ليخرج للصيد منفردا والخطر محدق به .

4- الخلافات والاحقاد السابقة بين المماليك المعزية والمماليك البحرية ، التي ادت الى مقتل الامير اقطاي امير البحرية عام (652هـ / 1254 م) وهروب اتباعه الى الشام ، وتهديدهم مصر ، وقد وحد صفوفهم الخطر المحدق الذي احاط بهم وهو المغول ، فما ان فرغوا منه ، حتى عادت العداوة والبغضاء بينهم من جديد ، كما يصفها بيبرس المنصوري [4] .

وقد ينبت المرعى على ذمن الثرى   وتبقى حزازات النفوس كما هي .

5- هروب بعض امراء البحرية من معركة عين جالوت ، وعند انتهاء المعركة وبخهم قطز وشتمهم وتوعدهم ، فاضمروا له السوء ، وبدأو بالتآمر عليه [5] .

---

(1) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص434 .

(2) شافع بن علي ، حسن المناقب ، ص31 .

(3) ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج8 ، ص60 .

(4) زبدة الفكرة ، ص53 ؛ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص79 ، العيني ، عقد الجمان ، ص253 .

(5) ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج8 ، ص60 .

6- ومن استقراء الاحداث التي مرت بها الدولة الملوكية ، فان الوصول الى السلطنة ، منذ البداية كانت عن طريق الاغتيالات ، فقد وصلت شجرة الدر الى العرش بعد اغتيال تورا نشاه ، كما انها اغتالت زوجها الملك المعز ابيك ، ومن ثم لحقته بسبب الصراع على السلطنة فضلا عن طبيعة الحكم العسكري لدولة المماليك ، وتطبيقه لمبدأ الحكم لمن غلب الذي يعد البناء العسكري لهذه الدولة .

كما ساهمت عوامل اخرى غير مباشرة في اغتيال الملك المظفر قطز نجملها فيما يأتي:-

1-معارضة الامراء المعزية للملك المظفر قطز عند عزله ابن استاذهم الملك المنصور علي وارتقاءه سلم السلطنة ، وسجن قسم من امراء المعزية المعارضين له .

2-حقد كثير من الامراء على الملك المظفر قطز ، لاكراههم على الخروج من مصر للقاء المغول .

3-حسد وغيرة المماليك على ما حققه قطز من انتصارات على المغول وتحريره لبلاد الشام ، مما عزز من سطوته ، وفرض ارادته عليهم ، اذ لعب هذا الامر دورا في التامر على اغتياله ، كما عرف عن المماليك في مصر من كره وحقد وتامر على بعضهم البعض .

4-سخط الرأي العام المصري ، والامراء والتجار لفرض الضرائب الكبيرة عليهم مما ادى الى معارضة الفقهاء والعلماء له ، لذا تلقى الناس خبر مقتله ببرود ودون رداي فعل يذكر ، بل بايعوا الامير بيبرس في نفس اليوم الذي كانت جثة قطز ملقاه على الرمال حتى قام بعض غلمانه بدفنها في القصير [1] .

يبدو من سرد الاحداث ان هناك مؤامرة قد خططت واعدت باحكام لاغتيال الملك المظفر قطز بعيد معركة عين جالوت ، وهو في الشام ، كما وثقها ابن تغري بردي [2] نقلا عن احد أمراء المماليك وهو ايد غدي العزيزي " انه اجتمع مع ركن الدين بيبرس واطلعه على شئ مما عزم عليه (قتل قطز) ، فاغلظ له في الجواب وصده عن ذلك بكل طريق وقال له " إياك ان تقع في ذلك ، فاظهر له الاصغاء الى قوله ، وفعل ما عزم .. " ، اذ استمر في تنفيذ مخططه لاسيما بعد ان نجح في اجتذاب الامير علاء الدين أنص (او أنس) الاصبهاني الذي

(1) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص435-436 ؛ ، العيني ، عقد الجمان ، ص260 .

(2) المنهل الصافي ، ج3 ، ص162 ؛ الصفدي الوافي بالوفيات ، ج9 ، ص484 .

كان سلاح دار قطز [1] وموضع ثقه عنده ، ويتمتع بقوة جسمانية كبيرة [2] ، فضلا عن بعض الامراء المعزية منهم سيف الدين بهادر المعزي والامير بدر بكتوت الجوكندار المعزي . اما خطة الاغتيال فأنها تقوم على اساس ان الملك المظفر قطز كان مولعا في رياضة الصيد ، ومن ثم اطلاق ارنب بري واستدراجه لوسط البرية وابعاده عن اصحابه ثم الانفراد به ، ... ومشاغلته بطلب تحسين اوضاع الامير بيبرس لانه قام في خدمته وشارك معه في حروبه ولم يلق ما يستحقه ، ويقوم بذلك الامير انص الاصبهاني في كونه سلحدار قطز وموضع ثقته ، ولايثير الشك عند الاقتراب منه ، وبحجة مسك يده لتقبيلها ، كانت الاشارة المتفق عليها بين المتآمرين لتنفيذ الخطة ، ومن ثم شل حركته والانقضاض عليه وقتله [3] .

ان مسالة اغتيال قطز تناولتها المصادر الرائدة تناولا مختلفا في الرواية ، وان كانت جميع المرويات التاريخية تتفق على انه قتل في النهاية فرواية ابن تغري بردي [4] ، ت (874 هـ / 1469 م) تقدم وصفا لمقتل الملك المظفر قطز ، يقر بأن هناك تدبير مسبق ، عندما أقبل الامير بيبرس على الملك المظفر قطز ، لشفاعه في انسان ، فاجابه قطز الى ما يريد ، فتقدم بيبرس نحوه لتقبيل يده ولما قبض عليها ، كانت الاشارة للانقضاض عليه من قبل الامير أنص الاصبهاني وضربه بالسيف فقتله .

اما رواية (اليونيني) ت (726هـ / 1325م) . فتذكر بان الامير بيبرس طلب من الملك قطز إمرأة من سبي المغول ، فانعم عليه بها ، ولما أراد ان يقبل يده على هذا الانعام وكان تقبيل اليد بمثابة اشارة الى الامراء الاخرين بقتل الملك قطز وعندها بادره الامير بدر الدين

---

(1) كان انص الاصبهاني رئيس السلاحدارية وخزانة السلاح ، والسلحدار هو الذي يناول الملك سلاحه ايام الحرب والسلم ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج4 ، ص18 .

(2) العيني ، عقد الجمان ، ص176 .

(3) شافع بن علي ، حسن المناقب ، ص31 ؛ بيبرس المنصوري ، زبده الفكرة ، ص53 ؛ العيني ، عقد الجمان ، 253 .

(4) النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص83-84 .

بكتوت بضربه على عنقه بالسيف في حين بادر أنص الاصبهاني الى اسقاطه عن جواده ، فعاجله الامير سيف الدين بسهم فقتله [1] .

ويقترب وصف رواية ابو الفداء (ت 732 هـ / 1331 م) وابن الوردي والعيني من رواية ابن تغري بردي كثيرا ، وان كانت الرواية تقدم الامير أنص الاصبهاني للشفاعة في انسان ولما أجابه الى ذلك هوى ليقبل يد الملك قطز ، فقبض عليها ليحمل عليه الامير بيبرس ويضربه بالسيف [2] .

وتسرد رواية ابن أيبك الدواداري [3] (ت 736هـ / 1335 م) بالنص الاتي عن مقتل الملك قطز " ولما وصل السلطان المرحوم الشهيد سيف الدنيا والدين قطز الى منزلة القصير ثار قدامه ارنب ، فساق عليه وارماه ، وتبعوه الامراء المذكورين ، وسبق الامير عز الدين انس الى الارنب وحصلها فاعجب السلطان منه ذلك " وهذا ما حفز الملك قطز لمكافأته ، فطلب الامير عز الدين انس جاريه من المغول ، وحقق له الملك قطز ذلك ، فتقدم لتقبيل يده ، وكانت هذه الاشارة بينهم وحين امسك الامير عز الدين يد الملك قطز وسيفه هجم عليه الامير بكتوت الجوكندار وضربه على قفاه ، ثم اثنى عليه الامير عز الدين انس ورماه عن فرسه ، ثم رماه بهادر المعزي بسهم فقتله . اما ابن عبد الظاهر [4] (ت 692هـ / 1293 م) فيؤكد ان الملك قطز قد قتله الامير بيبرس مباشرة ، دون أي دعم من الاخرين . ويقترب شافع بن علي ت (730هـ / 1329 م) من الحقيقة عندما يصحح لابن عبد الظاهر ويورد إن الامير بيبرس اتفق مع بعض المتآمرين ، بان خبأ للملك قطز ارنبا حتى توسط البرية واطلقه فتوهم الملك قطز بانه

---

(1) ذيل مرأة الزمان ، ج1 ، ص371 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص436 ؛ الكتبي ، عيون التواريخ ج20 ، ص229 ؛ ابن الدقماق ، الجوهر الثمين ، ص270 ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ج1 ، ص97 .

(2) العيني ، عقد الجمان ، ص253 ؛ ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج3 ، ص207 ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ص300 ؛ ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص177 ؛ بيبرس المنصوري ، زبده الفكرة ، ص54 ؛ مختار الاخبار ، ص17 .

(3)ابن أيبك الدودار ، كنز الدرر ، ج8 ، ص61-62 ؛ ابن ابي الفضائل ، النهج السديد ج3 ، ص408-409 .

(4)ابن عبد الظاهر ، روض الزاهر ، ص30 ؛ شافع بن علي ، حسن المناقب ، ص31 .

ارنب بري ، فلحق به وتبعه ، وكان الامير عز الدين انص الاصبهاني راكبا الى جانبه ، فانهال على الملك قطز بسيفه لكن ضربته كانت ضربة خائف ، فاكمله بيبرس فقتله .

ان الروايات حسب تنوع مواردها تؤكد على نية مبيته على قتل الملك المظفر قطز ، وبغض النظر عن التفصيلات التي لاتغني تحليل كيفياتها البحث الدقيق لاسيما ان اغتياله لم يحدث تغيرا جوهريا على الساحة السياسية انذاك ، اذ تجمع المصادر التاريخية ان القاتل الامير بيبرس حل محل المقتول الملك المظفر قطز ، لكن الوقائع تشير الى انه بعد عودت المتآمرين الى المخيم بدأوا بالتشاور فيمن يتولى السلطنة وكاد أن يضفي الاتفاق على تولي سيف الدين بلبان الرشيدي [(1)] الصالحي للسلطنة بحضور كبار امراء المماليك قبل دخولهم الى القاهرة لولا ان اتابك العسكر فارس الدين اقطاي دخل فجاة الى خيمة الاجتماع ، واستطاع ان يقنع الجميع بتولى السلطنة الى الامير بيبرس البندقداري كما اوردها شافع بن علي بقوله " وكان فارس الدين اتابك مرسما [(2)] عليه في دهليز فهجم وهم على هذا الاتفاق : فقال : يا أمراء لو ان للملك المظفر ولدا " كنت انا اول من يقاتل على اقامته والان فقد فات فيه الفوت ، واسة (قانون) الترك ان من قتل الملك كان هو الملك ، ما عزر من قتل هذا الملك بنفسه ليكون الملك لغيره وقد علمتم ان هذا الامير ركن الدين هو الذي قتله ثم اخذ بيده واجلسه على الطراحة ولقب بالملك القاهر " [(3)] . ويبدو من سرد الاحداث ان خطة اغتيال الملك المظفر قطز قد اعدت باحكام ، وقد شارك فيها عدد كبير من امراء المماليك ، لاسيما المماليك البحرية كما يوردها شافع بن علي [(4)] " ان الامراء دخلوا الى الدهليز ، وقد بسطت الطراحة ، فجلسوا يتشاورون فيمن يقوم بالملك ، وكان من جملة الامراء جماعة كانوا معتقلين بثغر الاسكندرية ، ممن اعتقلهم المعز واخرجهم الملك المظفر للجهاد ." لذا كان رد الفعل من قبل عساكره ومماليكه فاترا ، والقبول بالامر الواقع دون أي معارضة تذكرها المصادر التاريخية ، اما اهالي القاهرة التي زينت

---

(1) الرشيدي ، احد امراء المماليك سجنه الملك المعز ايبك ثم اطلقه الملك المظفر قطز قبل ذهابه لقتال المغول ، وكان يتمتع باحترام زملاء لانه اكبرهم قدرا واعلاهم ذكرا ؛ شافع بن علي ، حسن المناقب ، ص31–32 .

(2) يبدو من سرد الاحداث ان المتامرين كان عددهم اكثر مما ذكرته المصادر ، قسما كان متواجد في المعسكر عمل على اعتقال اتابك العسكر فارس الدين اقطاي ، شافع بن علي ، حسن المناقب ، ص32 .

(3) المصدر نفسه . sadequ, of-Op cit, p, 4 .

(4) شافع بن علي ، حسن المناقب ، ص31 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص436–437 .

لقدوم الملك المظفر قطز فكانوا " في فرح عظيم ، فلما اصبح الصباح وانتظروا الناس ان يصبحوا للملك المظفر على العادة فاصبحوا للملك الظاهر هذا في القلعة ، واما القاهرة فلما طلع النهار لم يشعر الناس الا بمنادي ينادي ترحموا على الملك المظفر وادعوا للسلطان الملك الظاهر سلطانكم فلحق الناس خوف عظيم من عودة البحرية الى ما كانوا عليه من الفساد ..."

" وكان قطز قد احدث في هذه السنة حوادث كبيرة عند حركته لقتال التتر ..... فابطل الملك الظاهر جميع ما احدثه قطز وكتب به توقيعا على المنابر ، فكان جملة ما ابطله ستمائة الف دينار . فسر الناس ، وزادوا في الزينة [1] .

---

(1) ابن ابي الفضائل ، النهج السديد ، ج3 ، ص409 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص 437–438

الخاتمة :

لم يكن قيام دولة المماليك البحرية في مصر عام (648 هـ / 1250 م) حدثا تاريخياً عادياً في تاريخ الأمة خلال تلك الحقبة الزمنية ، لأن الأحداث والوقائع كانت توحي بظهور قوة جديدة ذات مميزات سياسية وعسكرية مؤثرة بعد أن أخذت الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين بن يوسف بن أيوب بالإنهيار والتفكك ، وظهور الفتن الداخلية والتنافس على السلطنة ، فأدى هذا إلى بروز المماليك كقوة لحسم الكثير من القضايا مثل تدخلهم في عزل الملك العادل الثاني وتنصيب أخيه الملك الصالح أيوب . وما أفرزته الحملة الصليبية السابعة على مصر من نتائج هامة وخطيرة أزالت الدولة الأيوبية في مصر لتحل مكانها سلطنة المماليك ، التي أثبتت قدرتها على التصدي للصليبيين ومن ثم تجرأهم لاغتيار الملك توران شاه عام 648هـ/1250م وتنصيب شجرة الدر مكانه على الرغم من أن هذه الدولة تتشابه بإمتدادها الجغرافي وبنائها وطبيعتها العسكرية وأسسها السياسية والإقتصادية مع الدولة الأيوبية .

وقد إتضح في الاطروحة تعقيدات سياسية وعسكرية واجهت الدولة المملوكية في أول ظهورها من خطر مزدوج تمثل بأسيادهم السابقين من الأيوبيين في بلاد الشام ومن عرب مصر ، فضلاً عن ظهور قوة جديدة أشد خطراً وقسوةً ، إلا وهم المغول ، إذ عاضدتهم قوة محلية في بلاد الشام زادت من خطورتهم ووحشيتهم ، واختلط الأمر على الدولة المملوكية وأرتبكت أوضاعها السياسة والعسكرية ، ومن بين هذه التداخلات المضطربة التي كانت تعيشها الأمة العربية والإسلامية سطع نجم الملك المظفر قطز الذي إستطاع أن يعزل ابن استاذه الملك المعزايبك ، الملك المنصور علي ، ويرتقي لسلم السلطنة عام (657هـ / 1259م) ، ويتصدر الأحداث بإستعداداته للتصدي للمغول من خلال تأمينه للوضع الداخلي ، وتحييد القوى الصليبية ، والعمل على توظيف كل الطاقات البشرية والإقتصادية من أجل المعركة ، ولم ينتظر وصول المغول إلى مصر بل فاجأهم بنقل ساحة المعركة إلى فلسطين وإنزال هزيمة ساحقة بهم في معركة عين جالوت وبيسان (658هـ / 1260م) .

أفرزت هذه المعركة الكبيرة نتائج باهرة تمثلت بإنحسار المد المغولي عند نهر الفرات ومن ثم توحيد بلاد الشام مع مصر ، والعمل على إحياء الخلافة العباسية لإضفاء الشرعية لسلطنة المماليك ودعم ركائز دولتهم ، ومن ثم إنفرادهم بقيادة الأمة الإسلامية خلال تلك الحقبة الزمنية .

وعلى الرغم مما قام به قطز من ترتيب أوضاع بلاد الشام ، وتعيين الولاة والعمل على إستقرار الأوضاع عاد بعدها إلى مصر ليلقي مصرعه عند القصير عام (658هـ / 1260م) لتصفية حسابات قديمة .

ونستطيع أن نستخلص من خلال الاطروحة جملة من النتائج المهمة منها :

1- ظهر من خلال الدراسة أن قيام دولة المماليك عام (648هـ / 1250م) لم يكن حدثاً مفاجئاً بقدر ما كانت الأحداث توحي بظهورهم وتصدرهم للأحداث من خلال تفاعلهم وحسمهم لكثير من القضايا السياسية والعسكرية .

2- حاول المماليك إضفاء الصفة الشرعية على حكمهم كونهم أرقاء بيض تارة بتنصيب أحد أبناء البيت الأيوبي ، وتارة اخرى بإعلان الملك المعز أن البلاد تحت سيطرة الخلافة العباسية ، وأنه نائب الخليفة المستعصم بالله ، ومن ثم إستغلال سقوط الخلافة العباسية في بغداد وإحيائها في مصر وإتخاذها سنداً شرعياً لهم .

3- تميز حكم المماليك بالدسائس والمؤامرات نتيجة الظروف التي عاشها المماليك منذ صغرهم وحرمانهم من عطف ذويهم ، لذا فقد أتسموا بالعنف والقسوة والأنانية وعدم نكران الذات للوصول لأهدافهم وطموحاتهم حتى لو كان على حساب أسيادهم .

4- سرعان ما يتحد المماليك عند أي خطر يهدد كيانهم ووجودهم ، ويتكاتفوا وينسوا خلافاتهم ، لكن بعد إنتهاء الخطر يعودون لتصفية حساباتهم كما حدث للمماليك العزيزية الذين إنحازوا من جيش الملك الناصر يوسف الثاني وانضموا إلى ملك المعز آيبك وحسمت نتيجة المعركة لصالحهم ، كما حدث للملك قطز واستقباله لعدو الأمس الأمير بيبرس من أجل ترصينهم الصفوف والتصدي للمغول الذي يهدد وجودهم .

5- إن المماليك من خلال سير الأحداث وتعرض الأمة الإسلامية للغزو المغولي في العراق وبلاد الشام ، فقد تلكأوا بتقديم العون والدعم للخلافة العباسية في بغداد أو لبقايا الأيوبيين في بلاد الشام ، على الرغم من أن الخلافة العباسية لم تغفل عن مشاكل بلاد الشام أو, مصر ، فقد ارسلت الخلافة العباسية أكثر من مرة مبعوثين من قبل الخليفة لحل المشاكل التي كانت تحدث بين حكام بلاد الشام ومصر ، وتركوا الخلافة العباسية توجه مصيرها أمام المغول على الرغم من إستنجاد الخلافة بهم وبالايوبيين ، لكن المماليك إنشغلوا بأمورهم

الداخلية ، وتصفية حساباتهم . وعندما شعر قطز أن هناك تحالفاً أيوبياً مغولياً لغزو مصر ، سارع إلى التودد للأيوبيين في بلاد الشام ووعده بتقديم الدعم وإعتبر نفسه نائباً للملك الناصر يوسف الثاني ، لكنه بعد فشل هذا التحالف وتعرض بلاد الشام للغزو المغولي ، تخلوا عن الملك يوسف الثاني على الرغم من وصول رسوله للأستنجاد بهم ، وتركوا بلاد الشام فريسة سهلة للمغول ، فتوجه شخصياً إلى مصر لكنه فوجئ بخروج قطز بهدف الإيقاع به ، مما دفعه إلى الهرب ليقبض عليه المغول في بلاد الشام .

السيرة الذاتية

الاسم :- سالم يونس محمد المولى

المواليد :- الموصل 1952

عنوان الوظيفة :- مديرية التربية / معهد اعداد المعلمات / نينوى

الشهادات التي تم الحصول عليها :-

1-البكالوريوس / كلية التربية / جامعة الموصل / تاريخ / 1983 بدرجة جيد جدا وبدون رسوب .

2-ماجستير تاريخ اسلامي / كلية الاداب / جامعة الموصل / 1988 وبدرجة جيد جدا وبدون تمديد وكان عنوان الرسالة " العراق في السياسة المملوكية وباشراف الدكتور احمد الحسو .

3- الدكتوراه / تم قبولي في الدكتوراه عام 2001-2002 / كلية التربية / قسم التاريخ / في جامعة الموصل (تاريخ اسلامي) واجتزت الكورسات بنجاح مع اجتيازي الامتحان الشامل بنجاح وتم تحديد عنوان اطروحتي الموسومة " الاوضاع السياسية والعسكرية في مصر وبلاد الشام في عصر الملك المظفر قطز " باشراف الدكتور طارق فتحي سلطان واجريت المناقشة بتاريخ 2004/5/29 .

الوظائف التي شغلتها :- مدرس في الاعدادية الشرقية ، مدرس في معهد اعداد المعلمات نينوى .